
محمد رفعت
أسرار الملوك والرؤساء
في
مذكرات صحافي
مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

أسرار الملوك والرؤساء
في
مذكرات صحافي

محمد رفعت

أسرار الملوك والرؤساء في مذكرات صحافي





مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

هاتف: ٨٣١٦٤٠ - ٨٠٠٦٢١ - ٢٧٣٦٣٦ - ٢٧٥٨٦٧
ص.ب: ١٥/٥١٣ بيروت - لبنان

مقدمة

ثروة الصحفي ما يخزنه من ذكريات ولقاءات ومواقف ساقه إليها العمل أو القدر مع ملوك وأمراء ومشايخ ورؤساء جمهوريات وأصحاب التيجان والصولجان والسلطان وأرباب الحكم والجاه والنفوذ ، وما تكشف هذه اللقاءات والمواقف من الوجه الآخر لهذه الشخصيات الكبيرة وما تستطلعه عين الصحفي النافذة من خفايا وأسرار وهو يدلف من أبواب قصورهم ودورهم ويسير أو يتجول في دهاليز وقاعات هذه القصور وحدائقها

وكان من حظي وقد قضيت أكثر من أربعين عاماً في بلاط صاحبة الجلالة الصحافة أعمل في مختلف ألوانها وأبوابها أن حققت ثروة ضخمة من هذه الذكريات أودعتها مذكراتي هذه . وكتبتها كما وقعت بكل صدقٍ وبكل صراحة . ومن وقتٍ لآخر كنت أعود إليها أقرأها لنفسي وأنعم برنينها ، وأحصيها وأضيف إليها ، كما يفعل البخيل بمراجعته لكنوزه وإدخاره من وقتٍ لآخر ، واستعيد ما سمعت وما رأيت في جلساتٍ خاصة وقد خلعوا (أصحاب التيجان والصولجان والسلطان) التيجان عن رؤوسهم وتجردوا من أبهة الحكم وهيبة النفوذ ، جلسات بلا مراسم أو رسميات .

واليوم وقد بلغت بداية نهاية المطاف ، أصبحت أخشى على كنز ذكرياتي هذا أن يضيع أو يتبدد من بعدي وقررتُ أن أشرك قرائي فيه

وأقدمه هدية لهم في هذا الكتاب الذي أعده واحداً من خير وأعز كتبي التي قدمتها للمكتبة العربية

اليوم أنشر هذه المذكرات لأحيي ذكريات قديمة حافلة في رؤوس أبناء جيلي الذين عرفوا الأشخاص ولم يعرفوا الحكايات والأسرار ولم يطالعهم الوجه الآخر لهؤلاء الملوك والحكام الذين ما زال بعضهم أحياء ، ولم يعرفوا فيهم الإنسان الذي هو إنسان رغم العرش والتاج وجاه السلطان وأبهة الملك وسطوة الحكم والنفوذ .

وكل ما أقدمه اليوم في هذا الكتاب جديد جديد على القارىء ، لم أستطع أن أقدمه في وقته .

فهو يتحدث عن ملوك بلا عروش أو تيجان ملوك في دنيا السياسة ودنيا الأدب ودنيا الفن ولهم قدرهم ومكانتهم في المجتمع الدولي ، ولهم من الصيت والشهرة ما يكفل لهم ذكرى باقية وخالدة

محمد رفعت

في المملكة العربية السعودية :

المصلحة العامة أولاً !

في سنة ١٩٤٧ حينما دعتني شركة « مصر للطيران » مع بعض زملائي الصحفيين للإشتراك في افتتاح خطها الجوي الجديد بين القاهرة جدة سافرت مندوباً عن مجلة « المصور » بصفتي محررها الدبلوماسي ، سافرت على أن أعود بعد أربع وعشرين ساعة ، ولكن عندما التقيت بالشيخ « سليمان عبدالله السليمان » وزير المالية السعودي في ذلك الوقت دعاني باسم الحكومة لزيارة جميع أنحاء المملكة السعودية ، وأمر الملك « عبد العزيز آل سعود » بأن أكون أيام إقامتي ضيفاً عليه .

وكانت هذه الزيارة بداية صلتي الوثيقة بالأسرة المالكة السعودية ، بدءاً بمؤسس الأسرة الذي انتقل ببلاده من فطرة البداوة إلى واجهة الحضارة في ظل راية الإسلام وفي طاعة أحكام شريعته .

وفي ذلك الوقت كان البترول ما زال في أول العهد باكتشافه ، وكانت نهضة البلاد في بدايتها   وكانت جدة وهي ميناء البلاد الأولى مازالت في دور الإنشاء والتعمير . ونزلنا في « الكندرة » أول فندق أنشيء في جدة   وكان لا يعدو أن يكون « ڤيلا » كبيرة عديدة الغرف . ولم تكن أجهزة التكييف قد اكتملت بشكلها الحالي ، ولذلك كان الإعتماد على المراوح الكهربائية

وكان لقائي بالشيخ عبدالله السليمان في ڤيلا صغيرة يسكنها على

مقربة من الفندق ، بسيطة الأثاث ، رغم ما سمعته من أن الرجل كان على جانبٍ كبير من الثراء وفي الطريق إليه عرفت أنه أقرب رجال الملك إلى نفسه وأكثرهم حظوة لديه وعرفت سبب هذه الحظوة وذلك القرب كان كلما طلب الملك منه صرف مبلغٍ من المال لجانب مشروعٍ من المشروعات العامة التي كان يرعاها فإن الوزير كان يدبر الإعتماد المطلوب بسرعة مذهلة ودون دخول في إجراءات مطولة أو تعقيدات مضنية وفي بعض الأحيان كان يدبر الإعتماد من ماله الخاص إذا ما كانت خزانة الدولة لا تفي به ساعتها وبذلك لم يتوقف مشروعٌ أو يتعطل وكانت ميزانية الدولة في رأسه إذ لم تكن قد ظهرت بعد الآلات الحاسبة أو الكمبيوتر ولم يكن أيضاً قد عرف « الروتين »

وسمعت في جدة حكاية يتداولونها عن عبدالله السليمان حدث أن شح الماء في مكة في موسم الحج في سنة ١٣٦٨ هجرية ، وكانت الحرارة شديدة جداً ، وبذلت الحكومة جهوداً مضنية لحل الأزمة وقرر الشيخ عبدالله السليمان أن يبحث عن وسيلة تقي المدينة شح الماء بصفة دائمة بإضافة عين جديدة إلى عين فاطمة وعين زبيدة اللتان تسقيانها وبحث عن هذه العين الإضافية فلم يجد إلا عيناً اسمها « عين حنين » يملكها شقيقه الشيخ حمد السليمان وزير الدولة ويروي منها مزرعته التي تبعد ٢٥ كيلومتراً عن مكة ولم يتردد عبدالله السليمان في الإستيلاء على هذه العين غير عابىء بالضرر الذي يصيب مزرعة شقيقه ودون أن يعوضه عنها بريال واحد . . وحُلت الأزمة

وقضيت أيام قلائل في جدة ثم سافرت إلى الرياض العاصمة بعد أن تحدد موعد المقابلة مع الملك .

لماذا غادر الملك
عبد العزيز المجلس ؟

•

هبطت بي إحدى طائرات الخطوط الجوية السعودية من طراز بريستول في مطار الرياض بعد أربع ساعات طيران من مطار جدة فقد كانت الطائرة من طراز ذوات المحركات ، ولم تكن الطائرات النفاثة السريعة قد عُرفت بعد .

وكان في انتظاري مندوب القصر الملكي ، أحد رجال التشريفات ، ورحب بي وخرجنا إلى سيارة فخمة كانت في الإنتظار .

وكان بين أصابعي سيجارة أدخنها فنبهني المرافق إلى أن التدخين ممنوع في شوارع الرياض وكنت أعرف أن بين أهل نجد والتدخين كراهة مستحكمة ، ولكنني نسيت . وأطفأت السيجارة ، وودعت التدخين مؤقتاً حتى أصل إلى مكان نزولي .

وبينما كانت السيارة تقطع الكيلومترات الستة التي تفصل بين الرياض ومطارها قطعت الوقت بالحديث مع مرافقي أخبرني أن الملك أمر بأن أكون ضيفاً عليه في « قصر البديعة » وهو القصر الذي كان يقيم فيه حتى شيد القصر الجديد الذي يقيم فيه الآن فجعل قصر البديعة منزلاً لضيوفه

وحدثني المرافق عن برنامج الملك اليومي وكيف يقضي اليوم بنظام

دقيق لا يغيره يستيقظ قبل الفجر فإذا ما أذن المؤذن للصلاة أدى الملك الفريضة مع المقيمين معه ، وهم أولاده الذين لم يتزوجوا بعد ، ومع رجال الحاشية والخدم ، ثم يخلو إلى نفسه يقرأ القرآن في مصحفه حتى شروق الشمس ، فيعود إلى فراشه يستريح ساعة ويذهب بعد ذلك إلى الحمام ، ثم يستقبل طبيبه الخاص . ويتناول بعد ذلك الإفطار مع أبنائه وينظر في شؤون الأسرة .

وفي التاسعة صباحاً يجلس الملك في القاعة الكبرى بالقصر حيث يجتمع بالوزراء والمستشارين للنظر في شؤون الدولة ، ثم يدخل كاتب البرقيات فيتلو ما عنده من برقيات ويملي الملك عليه الردود ، فإذا ما فرغ منها استقبل زائريه إلى أن تحين صلاة الظهر فيؤديها في مسجد القصر ، وبعد الصلاة يتناول الغداء مع أبنائه وحاشيته ثم يستريح إلى الساعة الثالثة وبعد صلاة العصر يستمع الملك وقتاً إلى تفسير القرآن من أحد العلماء ، ثم تعرض عليه شؤون الدولة مرة أخرى ، ويستقبل بعدها الزوار إلى الخامسة مساءاً فإذا كان الوقت صيفاً خرج للنزهة في بستان من بساتينه أو يشهد سباقاً للخيل أو للجمال في ساحة السباق ، ثم يصلي المغرب ويعود إلى القصر فيتناول العشاء ويجلس إلى سيدات وبنات الأسرة يستمع إلى حاجاتهن ومطالبهن ويقضيها لهن . . ثم يصلي العشاء وبعد الصلاة يستمع مرة ثانية إلى تفسير القرآن

ويعود الملك إلى العمل بعد ذلك فيُعرض عليه ما جد من شؤون مستعجلة ثم يدخل موظفو الإستماع الذين يلتقطون أنباء العالم من مختلف محطات الإذاعة ويتلونها على الملك وهو جالسٌ في مجلس يضم أبناءه ومستشاريه وفي العاشرة مساءاً ينام الملك

وبعد قليل أشرفنا على الرياض ورأيت القصر الملكي ومن حوله قصور الأمراء أشبه ما تكون بحصون العصور الوسطى وقد تخللها النخل الباسق ولفت نظري بناء حديث بجانب قصر الملك فلما سألت مرافقي عنه قال

ـ هذا قصر صغير شُيد في عشرين يوماً   أمر الملك ببنائه على عجل ليقيم فيه ملك الأفغان عندما دُعي لزيارة بلاده ، وجاء الضيف فإذا بالقصر الصغير الجديد مستعداً لإستقباله   والفضل للآلات الحديثة التي نستخدمها في الإنشاء والبناء

وأخيراً وصلنا إلى قصر البديعة ، ودخلنا ، وشاهدت الأثاث والرياش الفخمة وبعد قليل سمعنا جرس التليفون   وتكلم المرافق ثم عاد وأخبرني أن الملك سيقابلني في صباح اليوم التالي .

كان الموعد الذي حدده لي الملك بعد صلاة العشاء في اليوم التالي وصحبني المرافق من قصر الضيافة إلى القصر الملكي   وكان بناءاً كبيراً يتوسط فناءاً واسعاً ، ولكنه كان بسيطاً مجرداً من الحلى والزخارف   اجتزنا الأسوار التي لم يكن عليها حراس دليل استتباب الأمن المطلق ، وعبرنا الفناء الذي لم تكن فيه أشجار أو أزهار . وصعدنا سلماً حجرياً ضيقاً إلى سطح مكشوف بالطابق الأعلى . . سطح واسع ينتهي إلى باب يؤدي إلى القاعة الكبرى التي يعقد فيها الملك مجلسه ويستقبل زائريه

وكان أثاث القاعة بسيطاً أيضاً   وقد جلس الملك على مقعد عادي في الصدر ، وعن يمينه جلس الأمير سعود ولي العهد على مقعد بعيد . . أما الوزراء ورجال الحاشية فكانوا جالسين على السجاد أمام الملك   وهكذا كانت التقاليد العربية الموروثة التي تطورت الآن وتحرر منها البروتوكول في مجالس الحكام العرب كلها أو بعضها . . استقبلني الملك واقفاً ومد إليَّ يده وشعرت بكفه الضخم يحتوي كفي بقوة وشدة   وكان رحمه الله عملاقاً ربع القامة   ودعاني للجلوس على مقعدٍ خالٍ إلى يمينه

ورحب بي الملك . . ودارت فناجين القهوة العربية « الجهاوي » ودار الحديث بيني وبين الملك . وما زلتُ أذكر منه فقرة أُكررها اليوم في هذا الكتاب وأطلقها عالية مدوية في أرجاء العالم العربي كصيحة حق في كل بلد عربي قال لي الملك   « علينا نحن الشعوب العربية أن نعمل على

تدعيم الجامعة العربية ففي داوم تضامننا واتحادنا تتجلى قوتنا وبأسنا ، واختلاف دولة من دول الجامعة مع زميلة لها في الرأي لا يدل على أن الجامعة فشلت في أداء رسالتها وليس من الصعب إزالة الخلاف في الرأي والتوفيق بين الآراء مهما تباينت وواجبنا أن نسعى دائماً لتدعيم بناء الجامعة وتثبيته ، لأن مصالح جميع الشعوب العربية واحدة وسبيلنا إلى تحقيقها هو التعاون والتضافر »

وأتممت الحديث ، وأستأذنت في الإنصراف فربت الملك على كتفي وقال لي « خليك شوية »

وفجأة دخل الدكتور مدحت شيخ الأرض طبيب الملك الخاص وهمس في أذن الملك وقام الملك بانزعاجٍ وقلق ، وأعاد عليَّ « خليك شوية »

وانصرف من المجلس مسرعاً مع طبيبه وغاب دقائق ثم عاد إلى المجلس وقد بدأ عليه الإرتياح والاطمئنان وأخذ يحدثني سائلاً عن أحوال بلدي وشعب بلدي

وانتهت المقابلة وعدت إلى قصر الضيافة ، وفي رأسي تساؤل وكلي فضول . . . أن أعرف سر مغادرة الملك المجلس مع طبيبه . وكأنما أحس مرافقي بما يدور في رأسي . فقال لي :

ـ لعلك تريد أن تعرف لماذا غادر الملك المجلس ؟

ـ فعلاً أُريد معرفة السبب .

ـ السبب مقرن

ـ مقرن ؟

ـ نعم . . . إنه أصغر أبنائه . . طفل صغير .

ـ ماذا حدث له ؟

ـ إنه مريض وقد رفض تناول الدواء . وجاء الطبيب يخبر الملك ، فقام معه وتحايل على الطفل ولاطفه حتى تناول الدواء ، واطمأن الملك وعاد إلى المجلس

ـ ألهذه الدرجة يُعنى الملك بأولاده ؟

نعم . ويهتم بنفسه بكل صغيرة وكبيرة من أمورهم رغم تعددهم إنهم الآن ٣٤ أذكرهم لك بترتيب أعمارهم التنازلي :

سعود ـ فيصل ـ خالد ـ محمد ـ ناصر ـ سعد ـ فهد ـ منصور ـ عبدالله ـ منذر ـ سلطان ـ مشعل ـ مساعد ـ عبد المحسن ـ مشاري ـ متعب ـ طلال ـ عبد الرحمن ـ تركي ـ بدر ـ فواز ـ نواف ـ ماجد ـ نايف ـ سليمان ـ عبد الآله ـ أحمد ـ مسطام ـ تامر ـ ممدوح ـ مشهور ـ هذلول ـ عبد المجيد ـ مقرن .

« والقارىء يعرف أن أربعة منهم تولوا الحكم بعد وفاة أبيهم سعود ؛ وفيصل ؛ وخالد ، وفهد (الملك الحالي) »

حكمة ملك

وفي مجلس الملك عبد العزيز آل سعود ، وقد حضرته أكثر من مرة ، أتيح لي أن أعرفه عن قرب ، وأن أدرك سر عظمته ، وأتبين أسباب نجاحه في الحكم ، وقبول الحكم بطولة في الحرب ، والكفاح من أجل إرساء قواعد مملكته كما تأكدت من حب شعبه وشدة تعلقه به وسمعت حكايات عنه ترفعه إلى مقام الأساطير .

كان صدر الملك عبد العزيز لا يضيق إلا عندما يجد خزائنه تضيق بالطلبات والعطايا ، وكان يتكدر أن يظهر بمظهر العاجز أمام السائلين الذين تعودوا عطاءه . وكان يسخر من مستشاريه كثيراً حينما ينصحونه بالإدخار قائلين له إن المستقبل علمه عند الله وإن الرخاء ليس بدائم فيقول لهم : « إن المال لا ينفع ، هل أفادت السلطان عبد الحميد خزائنه وما ادخره من مالٍ وهل أفادت خزائن الرشيد الرشيد » وكان له طريقة حكيمة رشيدة في العطاء .

وفد عليه يوماً شيخ من مشايخ البدو الكبار فأكرمه وأعطاه شيئاً قليلاً . وفي نفس الوقت وفد شيخ آخر من مشايخ البدو الصغار ، وكان الأخير يقطع الطرق مع رجال قبيلته في شمال نجد ، فأكرمه الملك إكراماً زائداً وكساه وأعطاه منحة ضخمة ، ومال عليه أحد مستشاريه يسأله عن هذا التصرف الغريب فأجابه :

- أما الأول فإنه وإن كان قوياً وكبيراً ، ولكنه يحس بما عليه من المسؤولية ويحافظ على مركزه بالولاء لنا فهو في حاجة إلينا وأما الثاني فمثل العصفور ينتقل من شجرة إلى أخرى يتعبك صيده ، فنحن في حاجة إلى تأليفه وإرضائه وما نكف به شره لا يساوي شيئاً إذا قورن بما نبذله لتأديبه وعقابه

وكان الملك عبد العزيز يتساهل في كل شيء إلا ما يمس سيطرته الشخصية أو ما يمس مركز حكومته فإنه لا يتساهل فيه ، وقد يُعاد الموظف المعزول إلى منصبه أو أعلى منه إذا تصرف بعد العزل تصرفاً يُرضي الملك حدث أن عزل أمير الطائف لشدته ، فلما أن حضر إليه قال له الملك

- إننا لم نعزلك من منصبك لنقص في دينك أو شبهة في أمانتك ولكننا نحيناك لشدتك ونحن نريد اللين مع الناس

ورد الأمير : « الحمدلله لقد ولاك الله على المسلمين وأنت أعلم بمصالحهم ولئن حُرمت من المنصب فإني أتمتع برؤيتك صباحاً ومساءاً وهذا لا يعادله شيء في الدنيا »

وسر الملك لهذا الرد اللطيف الذكي وواظب الأمير المعزول على حضور مجلس الملك كل يوم ولم تمضِ بضعة أشهر على عزله من الطائف حتى عُيِّن أميراً للمدينة

وكان الملك عبد العزيز من الحكام العمليين الذين لا تغيرهم مظاهر الأمور حدث أن اعترض عليه علماء الرياض إذنه إقامة الإحتفالات لمناسبة جلوسه على العرش لمخالفة ذلك للسنة فأرضاهم بالنزول على رأيهم قائلاً : « إن ما يتعلق بشخصه لا أهمية له في نظره » ولكن هذا لم يمنعه من معارضتهم في إنشاء المواصلات اللاسلكية في البلاد . لثقته بخطأ المعلومات التي تصل إلى نجد من التلغراف اللاسلكي من أنه عمل الشيطان ، وأنه بالعكس ركن من أركان السلم ، وحفظ الأمن وإنجاز

الأعمال . قال العلماء للملك :

- يا طويل العمر لقد غشك من أشار عليك باستعمال التلغراف اللاسلكي وإدخاله إلى بلادنا إنه سيجر علينا المصائب ، ونخشى أن يسلم بلادنا للاستعمار ورد عليهم الملك « لقد أخطأتم فلم يغشنا أحد . ولست ولله الحق بضعيف العقل أو قصير النظر لأخدع بخداع المخادعين . وإن بلادنا عزيزة علينا لا نسلمها لأحد إلا بالثمن الذي استلمناها به» .

إخواني المشايخ أنتم الان فوق رأسي ، تمسكوا بعضكم ببعض لا تدعوني أهز رأسي فيقع بعضكم أو أكثركم ، وأنت تعلمون أن من وقع على الارض لا يمكن أن يوضع فوق رأسي مرة ثانية مسألتان لا أسمع فيهما كلام أحد لظهور فائدتهما لي ولبلادي ، وليس هناك من دليل أو سنة رسول يمنع من إحداث اللاسلكي والسيارات

ووافق العلماء . . . وعرفت السعودية اللاسلكي لنقل الاخبار فورا بعد أن كان الاعتماد في نقلها على الجمال

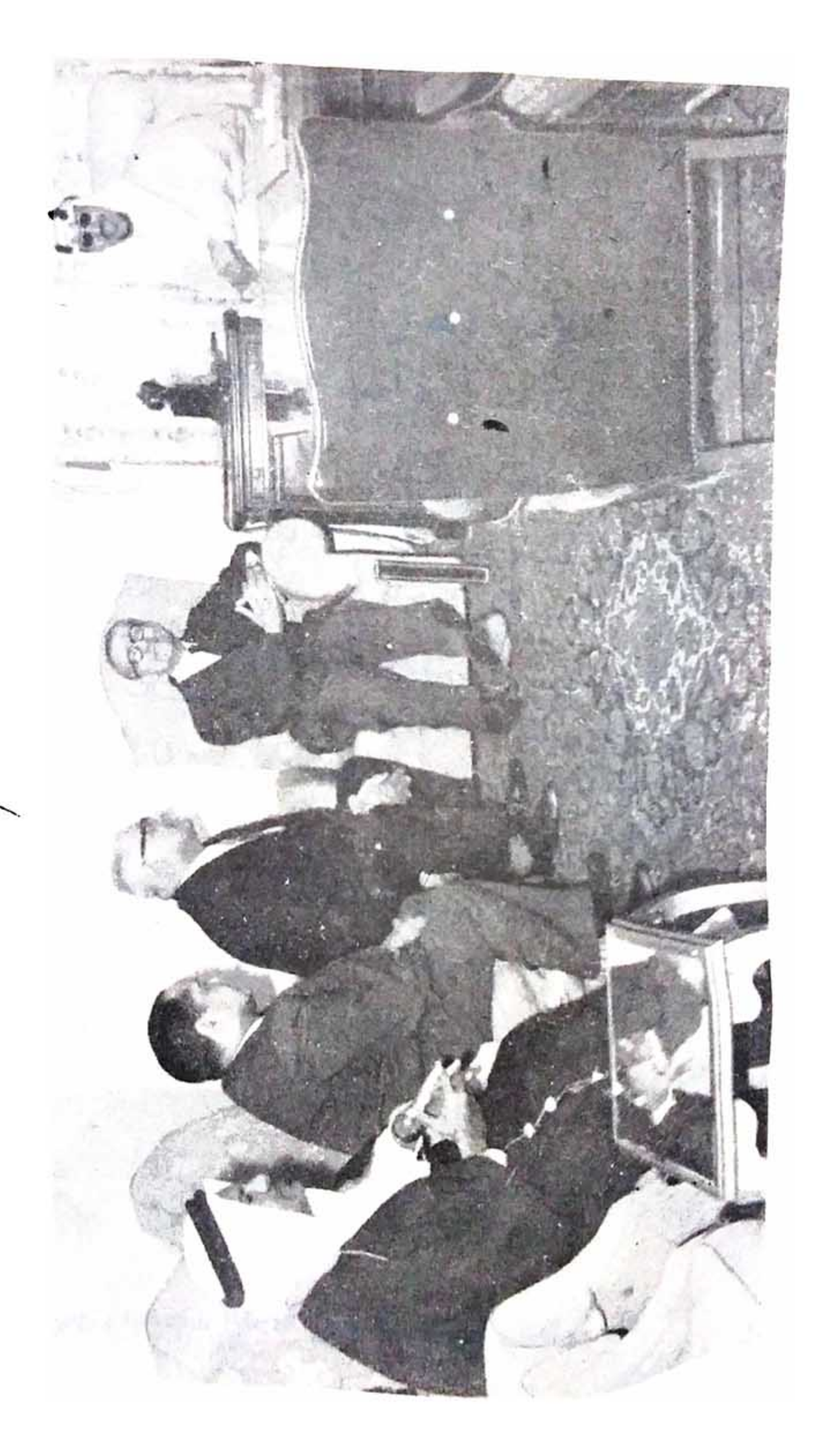
ومن أروع ما سمعته عن « الملك عبد العزيز آل سعود في مجلسه أن دار الحديث ذات صباح عن حوادث الطائرات ، وفاخر مدير الخطوط الجوية السعودية بأنه لم تحدث أية حوادث لطائرات هذه الخطوط في حياتها ، وكان تعليق الملك على ذلك :

- طول ما عليها شعارها « لا آله إلا الله محمد رسول الله » فلن تُصاب بسوء

وحدث أن زار مصر ، وكنتُ من مرافقيه في رحلة نيلية بالباخرة من القاهرة إلى القناطر الخيرية وكنتُ واقفاً إلى جانبه في شرفة الباخرة وهو ينظر مبهوراً في مياه النهر الكبير المتدفقة والتي تشق تراب مصر كالشريان تمده بالحياة والخصوبة والخير العميم ، ويطالع مشاهد الخضرة والإزدهار على الشاطئين ويردد « سبحان الله سبحان الله »

ومع تأمله وإعجابه بما يرى قال لي فجأة :

ـ ما رأيك أتبادلوننا نصف النيل بنصف إنتاجنا من البترول !



الأمير فيصل يكتب
مقدمة « أسد الجزيرة »

أمـا فيصل فقـد عرفتـه نائبـاً للملك ووزيـراً للخـارجيـة ، ورئيسـاً لمجلس الوكلاء ومجلس الشورى ، ثم ملكاً

وكـان في مقدمـة الدبلومـاسيين في العـالم الذين تحسب لهم الـدوائـر السياسية والمحافل والمؤتمرات الدوليـة ألف حساب وحسـاب وقد اشـترك في وضـع ميثاق الأمم المتحـدة ، ثم رأس وفـد بـلاده في الجمعيـة العـامـة للأمم المتحدة عدة دورات

وربـطتني به الصلة بصفتي الصحفيـة كمحـرر دبلومـاسي سنـوات ، وعندما ألفتُ كتابي عن السعودية « أسد الجزيرة » قال لي :

ـ سأكتب لك مقدمة هذا الكتاب .

قلت وأنا فرح بهذا العرض اللطيـف :

ـ بعد أن تقرأه سموك .

قال :

ـ لا داعِ سأكتب لك المقدمة قبـل أن أقرأ الكتـاب . إنني أثق فيك وأثق فيما تكتب .

فقلت وأنا لا أستطيع إخفاء دهشتي

ـ ولكن يا سمو الأمير . .

وقاطعني

ـ هذا أسلوب الدبلوماسية أعطِ ثقتك لمن تتعامل معه مقدماً فيحرص على إستبقائها

وكتب مقدمة الكتاب يقول فيها

« وضع الاستاذ « محمد رفعت » كتابه القيم « أسد الجزيرة » عقب زيارته للبلاد السعودية . وضمنه مشاهداته وما استخلصه لنفسه من نتائج وأبحاث والكتاب في الحقيقة يقدم نفسه أحسن تقديم ، فقد كتب في عبارة واضحة وأسلوبٍ شيق ومنطق سليم ولا يكاد القارىء يبدأ في قراءته حتى يجد في نفسه ميلاً لمتابعة قراءته حتى يفرغ منه والمؤلف فوق هذا ذكي الفؤاد واسع الأفق تلمس في كتابه مقدار تعلقه بهذه البلاد المقدسة وأهلها وإنه ليسرني أن أقدمه لقراء العربية متمنياً أن يحذو حذوه آخرون ليزداد اخواننا العرب والمصريون على وجه الخصوص معرفة بهذا البلد الذي يحبهم ويقدرهم »

إمضاء

فيصل



مع الأمير مساعد في باريس

والأمير « مساعد » وترتيبه الثاني عشر بين أبناء الملك عبد العزيز عرفته في الرياض في زيارتي الأولى للسعودية وكان أول لقاء في حفل عشاء أقامه لبعض الصحفيين المصريين في قصره

وأعقب العشاء حفل سمر بين الشعر والموسيقى والغناء البدوي واكتشفت أن الأمير « مساعد » شاعر وله قصائد عديدة ، ومنها ما يتغنى به سكان البادية وأشهرها قصيدة يقول فيها الأمير الشاعر :

ولي مقلة ما زارها النوم أشهراً فإن كان ذا عجباً فنومي أعجب
لأني قد فارقت أنسي وراحتي وكيف ينام الليل قلب معذب

ولأول مرة أعرف في هذه السهرة التقليد العربي المألوف عن الأمراء وكبار القوم إذا كنت في مجلسهم وأبديت اعجابك بشيء في القصر أو مع صاحب القصر ، يسألك صاحب القصر

ـ تبغاه ؟

فإذا وافقت ، ولو بالإشارة ، كان هذا الشيء لك .

وقد ابتغى زملائي أشياء وحملوها معهم أما أنا فلم أستطع أن أحمل ما أبديت إعجابي به فلقد أبديت إعجابي بالقصر . . . قصر

الأمير !

وذات شتاء التقيت بالأمير « مساعد » في باريس ، وكان دائم الأسفار للخارج وكنت أمثل مجلة « المصور » في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي عقد في قصر شايوه

وفي ليلة كنا نسهر مع الأمير ، أنا والموسيقار محمد عبد الوهاب الذي كان يزور باريس وقتئذٍ وقد سهرنا أولاً في الفندق « فندق الكونتيننتال » ، ثم خرجنا مع الأمير في سيارته « الرولز رويس » الفارهة الفاخرة ، وكانت هواية الأمير الشاعر أن يظل يطوف بالسيارة شوارع باريس طول الليل يملأ عينيه بأنوارها التي سُميت من أجلها « مدينة النور » حتى الفجر . وطول المسيرة إذا ما أبطأ السائق يصيح فيه الأمير بالفرنسية :

- vite (أي أسرع) .

ويدي ويد عبد الوهاب على قلبينا

وعدنا مع الفجر ، إلى مقر إقامتنا في الفندق .

حكم الشرع

وعنـدما أتحـدث عن ملوك وأمراء السعـوديـة لا بـد أن أتحـدث عن تطبيق الشريعة الإسـلامية في بـلادهم كآيـة من آيات عـدالة وردع الحكم عندهم

في السعودية لا يعـرف الناس قـوانين العقـوبات والمـرافعات وتحقيق الجنايات ، وإنمـا يعرفـون أحكام الشريعـة الإسلاميـة المستمدة من القـرآن الكريم .

في أرض السعودية المقدسة تنعدم السرقات وجـرائم القتل ولم تشهـد خلال سنوات عديدة سوى جريمة قتل واحدة للثأر ! إذ قتـل اثنان مـواطناً لهما فقُبض عليهما وحضر صاحب الدم وطلبت إليـه السلطات الحاكمـة أن يضرب القاتلين بالنار ففعل . فـالقتل العمـد هناك جـزاءه « الحد » يتخـير ولي الدم ـ الابن أو أقرب الأقرباء ـ بين أن يقتص بيده أو ينيب عنه جلاد الحكومة ، وله مطلق الحرية في اختيـار أداة القتل ـ السيف أو البنـدقية وفي حالة اختياره البندقية يوثق أمامه الجاني ويتقدم فيصـوب فوهـة البندقيـة إلى رأسه ويطلق النار فيضمن أن يصيب مقتلاً وفي الحالتين تترك الجثة ملقاة مكانها على الأرض عند أحد أبواب المدينة من الصباح حتى الغروب ليراها جميـع أهل المـدينة ، ويتحقق الـزجر والـردع وإن كان الجـاني من العتاة

الأشرار يُفصل رأسه عن عنقه ويُعلق على باب المدينة أربعة وعشرين ساعة   أما إذا كان صاحب الدم غلاماً فتعلق القضية إلى أن يبلغ رشده ويختار بين أن يقتص بيده أو ينيب عنه الجلاد ، ويبقى الجاني طوال هذه الأعوام في السجن حتى يحين موعد القصاص

وما زالت السعودية تتحدث في معرض القصاص بقصة الفتاة التي قُتل أبوها في ثأر ودُعي أخوها اليافع ـ صاحب الدم ـ ليقتص لدم أبيه وفي اليوم المحدد تقدم يحمل بندقية أبيه ليقتل قاتله   ولكن خارت قواه وارتعشت يداه وتخاذل على نفسه وإذا بأخته تخترق صفوف الناس وتتقدم إلى أخيها فتتناول البندقية من يده وتتقدم إلى الجاني وتطلق عليه النار بيدها وتقتص لأبيها   وكان ذلك منذ سنوات بعيدة ، ومع ذلك ما زالت القصة تجري على كل لسان وتجري مجرى الأساطير .

والأمر مع ذلك لا يخلو من محاكمة   إن الحادث يبلغ للشرطة ويحرر به محضر يحول للقاضي فيقيم الحد على الجاني   ويرفع الحكم في حالة الإعدام فقط للملك فيصدق عليه ويحق بعد ذلك القصاص لصاحب الدم

هذا عن القتل العمد ، أما القتل الخطأ فيحكم فيه بالدية ، مائة من الإبل أو ما يقابلها حسب اختيار ولي الدم ، أما السرقة فيطبق فيها الحد ، وهو قطع اليد إن كانت قيمة المسروق تزيد عن ربع ريال . ويختار يوم الجمعة لتنفيذ الحكم ليشهده المصلون أثناء خروجهم من المساجد ويتولى قطع اليد « جزار » خاص خبير ، يسلك اللحم من العظم ببرعة وخفة ، ثم يحمل الجاني إلى « الصحية » أي مكتب الصحة لإسعافه

وإذا كانت قيمة المسروق تقل عن ربع ريال فعقوبتها الحبس أو الجلد حسب تقدير الوالي ، ويتم الجلد علناً عند باب من أبواب المدينة أيضاً   ويندر أن يقل عدد الجلدات عن أربعين جلدة

والضرب الذي لا يخلف إصابات عقوبته الغرامة ، وما يحدث

إصابات عقوبته الحبس ، وإن كان شديداً وإصابته بالغة فعقوبته النفي خارج بلده

والخمر محرم ، إذا ما ضبط متعاطيها فعقوبته السجن ستة أشهر ، و٨٠ جلدة في كل شهر من أشهر السجن . وإن كان من الأجانب وضبط في الطريق العام في حالة سكر فإنه يُبعد خارج البلاد ويحرم على الأجانب الذين يشتغلون في آبار البترول شرب الخمر علناً ، وإنما يصرح لهم بشربها بإذن خاص داخل جدران بيوتهم بشرط ألا يتولى خدمتهم على مائدة الشرب مسلم

والحشيش محرم ، وعقوبة محرزه أو متعاطيه السجن ستة شهور والجلد كل شهر ٨٠ جلدة على مرأى من الناس وغرامة تعادل ثمن الحشيش المضبوط والنفي خارج البلاد . وبالجملة فإنك لا تشم رائحة الخمر أو أنفاس الحشيش في أي بقعة من بقاع السعودية

ومن أروع ما تشاهده في الأسواق والشوارع بالمدن والبلدان السعودية ساعة أن يؤذن للصلاة حيث ترى عساكر الدورية ينطلقون بين المتاجر في الطرقات يصيحون بصوتٍ مرتفع « الصلاة . . . الصلاة » فينبهون أصحاب المتاجر لأداء الفريضة ، فيغلقون متاجرهم لا بالحديد والسياج والأقفال كما يجري في معظم البلدن ، وإنما بإسدال شبكة خفيفة من الغزل على واجهة الدكان إن أحداً لا يفكر ولا يجسر على السرقة وهو يعلم أن جزاءها قطع يده ، بل إن بعض أصحاب المتاجر يتركون متاجرهم كما هي بدون أن يغطوها حتى بتلك الشبكة الخفيفة .

وحدث أن توجهت فجر يوم إلى الكعبة الشريفة لأودي الفريضة وعند باب السلام ضايقني شحاذ عجوز وألح في السؤال فنهرته ، فانصرف ودخلت الحرم وانغمرت في غمار المصلين . وبعد أن انتهيت من الصلاة وتوجهت للخروج بحثت عن حذائي فلم أجده ، وتذكرت أنني تركته خارج الباب أو نسيت أن أحمله معي أو أسلمه للحارس من فرط ضيقي بالشحاذ وسؤاله وتوجهت إلى مقر الشرطة داخل الحرم فإذا بي أجد

حذائي هناك وكانت المفاجأة التي أذهلتني أن الذي عثر على الحذاء وسلمه إلى الشرطة هو نفس الشحاذ العجوز وانه عثر على عشرة ريالات سعودية قريبة من الحذاء سقطت من أحد المصلين فسلمها أيضاً للشرطة

وأتيح لي أن أشهد إحدى جلسات الدائرة المدنية بالمحكمة العليا ، كانت الدائرة منعقدة ويرأسها قاضٍ متوسط العمر ومعه عضوان آخران وكاتب الجلسة يجلسون جميعاً إلى مكتب متواضع وجلس أمامهم الخصمان متجاورين على « كنبة وثيرة » وكان النزاع على ملكية أرض ، وترافع الخصمان كل منهما عن نفسه وقدم مستنداته ، فليس هناك محامون وناقشتهما المحكمة ، ثم أصدرت الحكم لصالح أحدهما ، فلم يعارض الآخر بل قال له وهو يبتسم راضياً

ـ حلال عليك الأرض .

وخرجا معاً وكانت صلاة الظهر قد حلت ، فأدياها في الحرم متجاورين ، وخرجا معاً متلازمين في الطريق ، وكأنه لم تكن بينهما خصومة أو نزاع

هذا هو حكم الشرع في أرض السلام ، الأرض المقدسة ، حيث لا مكان للشيطان .

على مائدة أمير

«عبدالله السديـري » أمير المـدينة المنـورة ، وقت أن نعمت بزيـارتها لأول مـرة في صيف ١٩٤٧ م ، وهـو من أصهـار الملك عبـد العـزيـز ، شخصية من الشخصيات النادرة التي لا تُمحى من ذاكرتي ، شخصية رقيقة متناهية في الرقة دمثة متناهية في الدماثة ، يلقاك أول مرة وكأنه يعرفك منذ سنـوات بعيد ، ويستقبلك في داره استقبـالاً حاراً حـافلاً ويشعـرك بـأنـك صاحب البيت .

وعلى مائـدة عبدالله السـديري أكلت أكلة المـدينة التقليـدية الشهيـة « اللحمـة المنـديـة » . . . خـروف ضاني يُـدس في الفحم المتـوهـج حتى يستوي وفوجئت بوجود أطباق مصرية أيضاً على المائدة التي مـدت لنا على الأرض فوق السجاد على الطريقة العربية التقليدية ولكنني لم أمد يـدي إليها ، ولاحظ الأمـير عزوفي عنهـا وإنني لا أحفـل بهـا وسـألني عن السبب فقلت :

ـ لا محل لها مع اللحمة المندية .

قال الأمير :

ـ الحمـدلله خشيت ألا تعجبكم اللحمـة المنـديـة وأشرت عليهم أن يعدوا هذه الأطباق المصرية على سبيل الإحتياط .

وطلبت كوب ماء فصاح مضيفنا في أحد الخدم

ـ هات للأستاذ« شربة » ساقعة

وذعرتُ واعترضت

ـ شربة ؟! ليه ؟

فضحك السديري وطمأنني

ـ لا تخف « شربة » هنا يعني « قِلة الماء » عندنا

وجرنا حديث المائدة إلى الأغوات خدم الحرم النبوي الذين تلقاهم هناك جالسين إلى جوار المقام النبوي على دكة طويلة تُعرف باسم « دكة الأغوات » لا يسمحون لأحد بالإقتراب من المقام النبوي إلا بحساب ، ومعهم مفاتيح المقام يتولون وحدهم كنسه ونظافته وهم لا يسمحون أبداً بدخول آلة التصوير إلى الحرم النبوي وقال مضيفي

ـ إنهم الآن قلة لا يتجاوز عددهم عدد الأصابع ، إذ أخذوا طريقهم إلى الإنقراض وهم في الأصل هدية السلاطين الأتراك للحرم

وحكى السديري حكاية طريفة تروى عن أحد هؤلاء الأغوات أنه كان أثيراً عند حاكم المدينة التركي ، وكان يستغل هذه الحظوة لخدمة أطماعه والإضرار بزملائه فحقدوا عليه ولما كانوا يعرفون عنه من ضيق العقل والفكر رأوا في ذلك طريقاً للخلاص منه . . . فلما اقترب شهر رمضان تجمعوا حوله ورجوه أن يذهب إلى الحاكم التركي ويطلب منه تأجيل شهر رمضان ثلاثة أشهر حتى يُشفى ثلاثة منهم كانوا مرضى ولا يقوون على الصوم وما زالوا به حتى قبل رجاءهم وذهب إلى الحاكم ، وما كاد يعرض عليه الإقتراح العجيب حتى ثار في وجهه وأمر بدق عنقه في الحال .

وكان ختام الطعام على مائدة السديري تمر المدينة المشهور « البرني » وتمر المدينة المشهور من أحلى وأجود التمور في العالم .

وإنك لتسير في شوارع المدينة في طريقك إلى الحرم النبوي وما تكاد تشرف على الحرم حتى تطوف بك نفحة من نفحات النبي الكريم عليه صلوات الله وسلامه ، وتستولي عليك الرهبة والروعة وتدخل من أحد أبواب الحرم الخمسة الرحمة والمجيدي في الشمال والسلام في الغرب وجبريل والنساء في الشرق وتصادف في صحن المسجد الحمام الأليف الذي يحط على كتفك وحجرك دون أن يرهبك أو يخافك وينتظر منك أن تبسط له يدك بحبات الغلة فيلتقطها منك فقد اعتاد لزائرون للمقام النبوي أن يحملوا إليه حبات الغلة ومن العجيب أن هذا الحمام لا يلقي بفضلاته داخل الحرم أبداً بل يطير إلى خارجه ويتخلص منها ثم يعود . . إن هذا الحمام الأليف حريص على نظافة وطهارة الحرم النبوي

وتغادر مدينة الرسول وقد عمر صدرك بالطمأنينة والإيمان الإيمان الذي قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام في حديثٍ شريف « إن الإيمان ليأزر إلى المدينة كما تأزر الحية إلى جحرها »

في المملكة المغربية :

مفاجأة ملك المغرب
في ڤيلا لالا فاطمة

سنة ١٩٥٦ م ، كنت في المغرب ، في أعقاب عودة محمد الخامس من المنفى إلى عرش المغرب . وكان الملك مرهقاً وما زالت ذكريات المنفى الأليمة تلقي بظلها عليه ، ولذلك كان عزوفاً عن الإدلاء بأي حديثٍ صحفي وفشلت جميع محاولاتي للظفر بالمقابلة معه

ولم يكن أمامي إلا المطاردة ، وتعقبت خطوات الملك وفرضت نفسي عليه حتى أظفر بحديثٍ كان لا شك هاماً في ذلك الوقت بعد أن عاد إلى بلاده ، وبدأ بإصلاح ما أفسده الإستعمار وأعوان الإستعمار .

وذات صباح وأنا أطوف في ساعة مبكرة في أطراف مدينة الرباط العاصمة ومعي المصور رفيق رحلتي رأينا سيارة الملك التي نعرفها من قبل تقف أمام ڤيلا صغيرة جميلة وتوقفنا عند باب هذه الڤيلا ولم يكن هناك حرس يمنعنا من الدخول فدخلنا إلى الحديقة ، وما كدنا نسير فيها خطوات حتى رأينا الملك محمد الخامس أمامنا ، واقفاً يهز بيده أرجوحة تجلس إليها طفلة صغيرة جميلة

وفوجىء الملك إذ رآنا ومنعه حياءه من طردنا أو الهروب منا وأحرجته المفاجأة فلم يسعه إلا الترحيب بنا وقدم لنا الطفلة التي يؤرجحها :



مع لالا فاطمة ومربيتها في ڤيللتها الصغيرة

ـ هذه ابنتي لالا فاطمة أصغر أولادي وقد اعتدت أن أبدأ صباحي كل يوم بزيارتها هنا حيث تقيم مع مربيتها

وشاركنا الملك في أرجحة ابنته ، وفي الإفطار معها ، ثم اللعب فترة في غرفة اللعب الخاصة بالأميرة الصغيرة التي تحتوي على عشرات اللعب كان الملك يرشدنا بدراية إلى كيفية اللعب بها كما تعلم عن لالا فاطمة والتقطنا عدة صور . . لقطات بارعة نادرة ثم دعانا الملك ليوصلنا بسيارته إلى المدينة وفي السيارة ظفرت بالحديث الهام الذي كنتُ قد يئست منه

* * *

وحكي الملك بعض ذكرياته عن المنفى وعرض مرة بعض الصور التي يحتفظ بها للذكرى . وقد بكى وهو يعرض إحداها صورة رجل عجوز مسن وقال :

ـ هذا الرجل هو أحد حراسي في المنفى سجنوه وعذبوه لأنهم اكتشفوا أنه يهرب رسائلي إلى أنصاري في المغرب وكنت أود لو عاش لأجيء به معي ، ولكنه مات قبل رحيلي ببضعة أيام حلم في منامه بإطلاق سراحي من المنفى وعودتي إلى بلادي وقص رؤياه على السجان وطلب منه أن يبشرني به وأبلغ السجان رؤساءه الذين جازوا الرجل على الحلم بالعذاب الأليم حتى الموت . ولكن الحلم مع ذلك تحقق . وكنت أود لو أكافىء الرجل ببيتٍ يقيم فيه بقية حياته لو لم يمت ولم أجد ما أفعله بعد عودتي سوى أن أهديه قبراً يليق بمقامه بعد موته .

وفي كل مرة كنا نلتقي فيها بالملك كان يطلب طلباً ويؤكده « ألا نكتب في صحفنا أو كتبنا أن اسم بلاده « مراكش » كما كان شائعاً إذ ذاك لأن مراكش هي واحدة من مدن المغرب الكبرى وليست المغرب كلها »

أيام في ضيافة المملكة المغربية

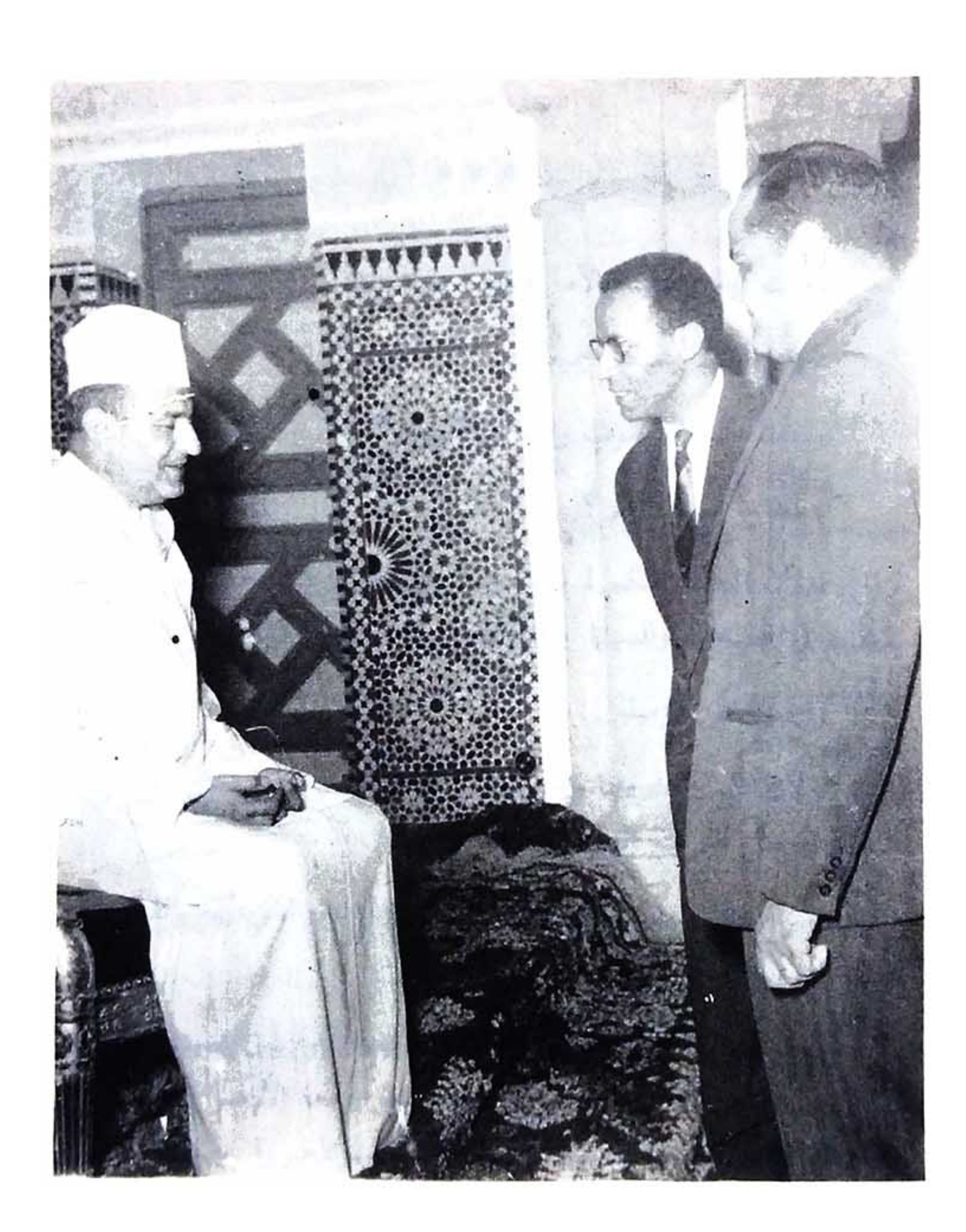
عندما وقع العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ م كنا ثلاثتنا في الرباط أنا والمرحوم حسين فوزي المخرج السينمائي الراحل وجمال السنهوري إذاعي صوت العرب المشهور ، وقطعت الحرب جميع المواصلات من برية وبحرية وجوية بين مصر والعالم الخارجي كله وكان علينا أن نبقى في المغرب ما بقيت طرق المواصلات مقطوعة . وأمر المغفور له الملك محمد الخامس عاهل المغرب الراحل أن ننزل في ضيافته طوال مدة إقامتنا وطلبنا ولي العهد الأمير الحسن ـ الملك الحسن الآن ـ في مكتبه وقال لنا :

ـ كلفني جلالة الملك بتوفير سبل الراحة لكم وقد رأيتُ أن يتاح لكم الإتصال بأسركم في القاهرة في أي وقت تشاؤن وأصدرت أوامري بذلك . . سيكون في خدمتكم خطاً لاسلكياً لتطمئنوا على زوجاتكم وأولادكم وتطمئنونهم عليكم دائماً ولنبدأ من الآن

وطلب ولي العهد بنفسه لكل واحد منا رقم تليفونه في القاهرة ، وتحدثنا مع زوجاتنا وأولادنا واطمأننا عليهم واطمأنوا علينا .

وبعد ذلك قال لنا الأمير :

ـ وحتى لا تشعروا بفراغ تستطيعوا أن تشاركوا إخوتكم المغاربة عملهم في الصحافة والسينما والإذاعة



وختم الأمير حديثه معنا بقوله

ـ أتمنى ألا تترددوا في إطلاعي على أي شكوى تتعلق بأيٍ منكم لإزالتها فوراً   أنتم ضيوف الملك   وسأكون على إتصالٍ دائم بكم

* * *

ومرت أيام والتقينا بالأمير وبادرنا بقوله

ـ إنني أعتب عليكم جميعاً

ورددنا عليه في صوتٍ واحد في قلقٍ

ـ لماذا يا سمو الأمير ؟

ـ لأن واحداً منكم لم يلبِ دعوتي لكم لمشاركة أخوتكم المغاربة عملهم في الصحافة والسينما أو الإذاعة فلماذا لم تفعلوا ؟

وأجبت عن الزميلين

ـ لأن كل واحد منا وجد العمل الذي يشغله ولن تتاح لنا فرصة للتفرغ له مثل الفرصة التي نحن فيها الآن .

وشرح كل واحد العمل الخاص الذي يشغله والذي أتمه بالفعل قبل عودته إلى القاهرة .

من جهتي أنا كنت قد زرت مكتبة جامعة القرويين بمدينة فاس في المغرب ، الجامعة الثانية في العالم في القدم بعد جامعة الأزهر . وفي مكتبة القرويين فوجئت بمخطوطة بين آلاف المخطوطات العربية القديمة الثمينة التي تضمها هذه المكتبة وعنوان هذه المخطوطة « ١٠٠٠ يوم ويوم » مجموعة حكايات معاصرة لحكايات « ١٠٠٠ ليلة وليلة » وتنافسها وقد تتفوق عليها في الحبكة والطلاوة والمؤلف اسمه « درويش مخلص » . وقال لي أمين

المكتبة إن هذا المخطوط هو الوحيد في العالم كله وأردت أن أنقل عنه خلاصة ، فوجدت صعوبة في متابعة القراءة فيه مع غرابة الخط ومحو بعض السطور ، ولكن أمين المكتبة سهل عليَّ مهمتي بأن أرشدني إلى ترجمة فرنسية لهذا المخطوط لمستشرق فرنسي اسمه « سانت كروا » موجودة أيضاً بمكتبة القرويين وكانت مفاجأة في مقدمة الترجمة كان المخطوط أصلاً في حيازة العالم المصري المعروف المرحوم رفاعة رافع الطهطاوي ، وأهداه لسانت كروا الذي تعرف به خلال دراسته في باريس وانتهيت من ترجمة المخطوط خلال إقامتي في المغرب ، وإعتماداً عليها كتبت حكايات ١٠٠٠ يوم ويوم التي نشرتها لأول مرة في العالم دار المعرفة ببيروت

وحسين فوزي انصرف إلى كتابة قصة للسينما وإعداد السيناريو والحوار على أن يخرجها بمجرد عودته إلى القاهرة ، على أن تكون البطولة طبعاً لزوجته « نعيمة عاكف » التي كانت مصدر إلهامه ووحيه رغم بعدها عنه . ولم أرَ في حياتي حب زوج لزوجته مثلما رأيت حب حسين فوزي لنعيمة عاكف كان يذكرها خلال إقامتنا الجبرية في الرباط ليل نهار ويحشرها في كل حديث له كما حشرها في كل فيلم له وكانت القصة التي كتبها هي قصة فيلم « تمرحنة » المعروف . . . قصة الفتاة الغجرية التي تحب ابن الباشا الثري وتتنكر للشاب الغجري الذي كان يحبها وتكسر تقاليد قومها

أما « جمال السنهوري » فقد انصرف إلى التخطيط لإنشاء مكتب لانتاج البرامج الإذاعية في القاهرة يتعامل مع كل إذاعات العالم العربية وكتب بالفعل عدداً لا بأس به من البرامج ليكون جاهزاً للعمل عندما يحقق مشروعه

وكُتب النجاح والحمدلله لمشروعاتنا الثلاثة بمجرد أن عدنا إلى القاهرة صدرت مجموعة حكايات ١٠٠٠ يوم ويوم في عشرين جزء وحققت وما زالت تحقق رواجاً كبيراً في جميع أنحاء العالم العربي وأخرج حسين فوزي فيلمه « تمرحنة » الذي اعتبره النقاد أحسن أفلامه وشهدوا

لنعيمة عاكف بالإبداع والتفوق في أداء دور الغجرية وبالرغم من أن الفارس الثالث تأخر في تنفيذ مشروعه عدة سنوات فإن مكتبه لإنتاج البرامج الإذاعية تأسس في القاهرة وتعاملت معه إذاعات العالم العربية

وانتهى العدوان الثلاثي وفُتحت الطرق البرية فقط إلى مصر وأرجى فتح الطرق الجوية والبحرية وقررنا أن نعود إلى مصر على مرحلتين : المرحلة الأولى جواً من الرباط إلى بنغازي في ليبيا ، والمرحلة الثانية براً من بنغازي إلى القاهرة وتمت المرحلة الأولى الجوية في يسر وراحة ، أما المرحلة الثانية البرية فكانت صعبة شاقة السيارة الوحيدة التي قبلت نقلنا من بنغازي إلى القاهرة قديمة جداً متهالكة جداً والطريق أكثره وعر غير ممهد . وما كدنا نصل إلى « الرست هاوس » في منتصف طريق الإسكندرية الصحراوي حتى أسرعنا إلى التليفون نتصل بأهلنا لنطمئن عليهم ، وانشرح صدري واطمأن قلبي أنا وجمال السنهوري، ولكن حسين فوزي انقبض واكتئب لأنه لم يجد نعيمة عاكف في البيت . ورغم أنها أكدت له أنها خرجت مضطرة لشراء بعض حاجيات البيت فإنه لم يغفر لها وكانت من أسباب طلاقه لها بعد فترة لم تطل .

الأميرة المجاهدة

خاضت المرأة المغربية كل الميادين التي يخوضها الرجل ، ومنها ميدان الدبلوماسية حين عينت « الأميرة عائشة » أو « لالا عائشة » شقيقة الملك الحسن سفيرة للمغرب في لندن لفترةٍ من الزمن وكان أكبر نصر أحرزته المرأة المغربية ، وسبقت به المرأة العربية عامة في كل مكان في الوطن العربي ، هو قانون الأحوال الشخصية الذي كان فريداً بالنسبة لكل القوانين في البلاد الإسلامية كلها ، وأصبح سياجاً متيناً يحمي المرأة المغربية في حياتها الزوجية ، فأولاً بالنسبة للمشكلة القديمة الخالدة ، مشكلة تعدد الزوجات ، لم يحرم القانون الجديد تعدد الزوجات ، ولكنه جعل شرطاً للزواج بالزوجة الثانية قبول الزوجة الأولى ، فإن لم تذهب أمام القاضي وتعلن قبولها لا يتم الزواج ، فكأنه منع الزواج بالثانية بدون أن ينص على المنع ثم إن هذا القانون جعل أيضاً حدوداً للطلاق ، فبعد أن كان الزوج يطلق بالحلفان بالثلاث بمجرد إلقاء اليمين تحتم أن يتم الطلاق في المحكمة ولأسبابٍ يقرها القاضي

ولكن المرأة المغربية لم تكن كذلك عندما زرت المغرب لأول مرة سنة ١٩٥٦ وعندما قابلت لالا عائشة وأجريت معها حديثاً صحافياً كانت الأميرة قلقة على وضع المرأة في بلادها ، وقد صرحت بما يلي

ـ عندنا تختلف الريفية عن بنت المدينة في أن بنت الريف قد تحررت



في مقابلة مع لالا عائشة شقيقة الملك الحسن عاهل المغرب

من قيود الحجاب ، وتقف مع الرجال على قدم المساواة ولكن بنت المدينة ما زالت مقيدة ببعض قيود الحجاب القديمة رغم سفورها ، ورغم وصولها إلى جميع الوظائف والمهن ، ورغم زحفها إلى جميع الكليات الجامعية ، وظهورها في مختلف الإجتماعات وفي كل الحفلات ، فما زالت تسيطر على حياتها قيود الحجاب والتقاليد

وكانت لالا عائشة في ذلك الوقت تقود النهضة النسوية في المغرب ، وتجاهد في عنادٍ ومثابرة حتى تكسب للمرأة المغربية كل يوم كسباً جديداً في نهضة بلادها كان هذا معروفاً ومشهوراً ، ولكن الذي كان سراً مخفياً هو أنها كانت أيضاً تقود الحركة النسائية المقاومة للإستعمار قبل ذلك وقد روت حكايات وذكريات من أيام الجهاد ، من بينها هذه الحكاية

- ذات ليلة طرق على الباب ثلاث سيدات مجهدات يشرفن على الموت تعباً وجوعاً وعطشاً ، وقويت إحداهن على الكلام بعد جهد ، وقالت تخاطبني وهي تنتزع الكلام انتزاعاً من حلقها

- إحنا جايين ضيوف . .

- أهلاً وسهلاً تفضلوا

ولم أسألهن شيئاً ، بل قدتهن إلى داخل البيت ، وبدأت بتقديم الماء والطعام لهن . . فلما انتهين من إرواء جوعهن وعطشهن قلت لهن

- الفراش معد .

ولكنهن هززن رؤوسهن وقالت إحداهن :

- لن ننام . . . سنواصل المسير . . . إننا نحمل رسائل خطيرة وهامة لرجال المقاومة في الشمال من القيادة . . وقد سرنا ثلاثة أيام ليل نهار نخوض الغابات والمستنقعات ونحن نحمل هذه الرسائل. وقد طرقنا بابك لأننا نعرف باشتراكك في المقاومة ، ولنسألك عن مكان الرجال .

وكشفت السيدات الثلاث عن أقدامهن فإذا بها دامية مشققة

وكـانت كل واحـدة منهن مسلحة بمسـدس كبير . . وصممن عـلى مواصلة السـير لإتمـام مـأمـوريتهن في نفس الليلة كـل هـذا دون أن يـذكـرن أسماءهن أو من أين جئن ، في إنكار ذات جميل

جلسة مع الملك
على أرض الطائرة

أول مـرة قابلت الملك الحسن الثـاني ملك المغـرب كـانت وهـو ولي العهـد في سبتمبر /أيلول سنـة ١٩٥٦ في تـونس كـان هنـاك في زيـارة رسمية صحبة والـده محمد الخـامس الملك الراحـل وكان هـدف هذه الزيارة السعي لحل قضية الجزائر ولـذلك دعـا الملك الحسن زعماء الجـزائر « بن بيـلا » ورفاقـه لمصـاحبتـه في هـذه الـرحلة في طـائـرة خـاصـة تلحق بطائرته ولكن هذه الطائرة لم تصل إلى تونس ، إذ اختطفها الفـرنسيون من فوق مطار الجـزائر واعتقلوا الـزعماء الجـزائريـين الخمسة ورحلوهم إلى باريس وسجنوهم هناك في الحادث المعروف المشهور .

وقضى الملك وولي العهـد يـومـين عصيبـين في تـونس ، وفي نهايتهـما دعاني ولي العهد إلى مصـاحبته في العـودة لأزور المغرب لأول مـرة وفي اليوم الثالث ركبت مع الأمير في طائرته الخاصة

وجلست إلى جانب الحسن في الطائرة أستمع لحـديثه المليء بالأمـاني والآمال لبلاده التي كانت في ذلك الوقت في فجر إستقلالها ، والمشروعـات الضخمة التي كان فكـر فيها لتـدعيم جيش المغرب وتقـويته ليكـون الدرع الواقي الحصين لإستقلال البلاد وعـزتها وكـرامتها ، وكـان والده الملك قـد عينه أركان حرب للقوات المغربية منذ أن أعلن استقلالهـا وتحدث أيضـاً عن إيمـان أبيه بـالتضامن العـربي ، وأكد أن المغـرب لن يتخلف أبـداً عن

السير في طليعة الركب العربي المتحرر من كل قيد أو نفوذ أجنبي

وكان الأمير الشاب يتحدث بنبرات حماسية تعلو على هدير وأزيز محركات الطائرة وكأنما يريد أن يذيعها على العالم كله ومررنا في رحلتنا بروما وبإحدى جزر اسبانيا وفي كلا المكانين استقبل الحسن استقبالاً عسكرياً كبيراً وكان يستبدل ملابسه المغربية القومية التي يرتديها بالملابس العسكرية في الطائرة قبل أن نهبط منها ، ثم يعود إلى الملابس المغربية بمجرد رجوعه إلى الطائرة .

وشهدت من مظاهر ديمقراطية الحسن ونحن في الجو ، مشاركته لافراد حاشيته في بعض ألعاب التسلية لقطع الوقت في رحلتنا ، ونحن جلوس حوله في حلقة على الأرض في الفضاء الواقع خلف باب الطائرة

* * *

ووصلنا إلى الرباط عاصمة المغرب وكان الملك الراحل محمد الخامس قد سبقنا في الوصول بطائرته الخاصة ، ومع ذلك وجدنا الحشد الشعبي الضخم الذي استقبله ما زال ينتظر وصول ولي العهد وأدركت ساعتها كيف يتمتع الأمير بحب وتعلق الشعب به .

ودعاني الحسن إلى النزول في ضيافته في « فندق منارة حسان » أكبر فنادق الرباط في ذلك الوقت ، وأمر أن يعد لي برنامج خاص لزيارة أنحاء المغرب المختلفة .

وفي صباح الغد ذهبت إلى وزارة الدفاع واستقبلني الأمير الحسن استقبالا حفياً وقال لي :

- إنني سأزور اليوم أحد معسكرات الجيش فتعال معي

وصحبته لزيارة « معسكر مولاي إسماعيل » المتاخم للرباط وكان من معسكرات الجيش الفرنسي ، ثم أصبح من معسكرات الجيش المغربي ، ورأيت فيه ١٥٠٠ جندي وضباطهم يؤلفون وحدة من سلاح الإشارة ،

ووحدة أخرى من سلاح المدرعات . ورأيت قوة وعتاداً ونظاماً محكماً وسألني الأمير ونحن نمر بجنود المعسكر :

- ما رأيك فيهم ؟

- إن كل جندي يبدو أمامي كما لو كان وُلد جندياً

وابتسم الأمير في فخرٍ وقال لي :

- لا عجب ؛ فإن أكثرهم كانوا مقاتلين في جيش التحرير الوطني .

ومررنا في جولتنا بجندي على وجهه مسحة أسى ظاهرة ، فسأله الأمير:

- ماذا بك ؟

- لقد وصلني اليوم خبر موت أخي

- ولماذا لم تطلب تصريحاً بإجازة ؟

- لأن المناورات غداً والخدمة العسكرية عندي أهم من أي شيء في الدنيا حتى لو كان هذا الشيء أخي .

- الله يبارك .

قالها الأمير وهو يربت على كتف الجندي ، ووجدت نفسي أرددها من بعده وأنا لا أشعر :

- الله يبارك .

* * *

وأُذيع لأول مرة في هذا الكتاب موقفاً جليلاً للأمير الحسن يذكره المغاربة ولا ينسوه . . . ذلك أن الجنرال جيوم المقيم الفرنسي العام في المغرب عندما شرع في نفي الملك الراحل محمد الخامس لرعايته الحركة

الوطنية في بلاده وتشبثه بحرية التصرف في شؤون الدولة دون الرجوع إلى الفرنسيين ، أرسل رسولاً من قبله إلى الأمير الحسن يساومه في البقاء وإعلانه ملكاً مكان والده ، فرد الأمير الشاب رداً أذهل الجنرال الفرنسي قائلاً :

- لن أكون أقل وطنية من أبي الذي رباني وعلمني أن أخدم بلادي وأن أضحي بحياتي في سبيلها .

ولم يجد الجنرال جيوم بدآ من نفي الأسرة كلها وعلى رأسها الأمير الحسن مع الملك إلى مدغشقر .

في تونس :

موكب النيشان في قصر الباي

زيارتي الأولى لتونس كانت في الخمسينات ، في عهد حاكمها « محمد المنصف » وكانوا يسمونه الباي ، وهو آخر حكامها الأتراك الذين حكموا المغرب العربي عشرات السنين

وبعد أن إلتقيت بالباي أهداني « نيشان جوق الشرف من رتبة فارس » ويوم إهداء النيشان ذهبت إلى قصر الباي ، واستقبلني رئيس الديوان وأفهمني أن الباي سيستقبلني على الفور ويقدم إليَّ النيشان وبراءته ، ثم يقلدني إياه بيديه وبعد ذلك عليَّ أن أسير في موكب في أرجاء القصر وأنا ألبس النيشان أتلقى تحية وتهنئة الحاشية كما تقضي بذلك التقاليد المرعية على الطريقة التركية القديمة .

وصعدت إلى قاعدة العرش ، وفي طريقي إليها سمعت عزف عود لأحد البشارف التركية المعروفة ، عزفاً متقناً شجياً وتصورت أن يكون العزف لاحدى جواري القصر أو لاحدى بنات أو أحد أبناء الباي ولكني لم أتصور إطلاقاً أن يكون العازف هو الباي نفسه إلا عندما دخلت قاعة العرش ، ووجدته جالساً على العرش بملابسه الرسمية المزركشة بالقصب وعلى رأسه « القبلق » التركي المعروف . . كان جالساً يحتضن العود ويرسل منه الأنغام الشجية التي سمعتها في الطريق إليه .

وترك الباي العود ، وجرت مراسم تقليدي النيشان

وسرت في الموكب مع رئيس الديوان وبعض رجال التشريفات أطوف أرجاء القصر طبقاً للتقاليد المرعية . ولم نكد نخطو بضع خطوات حتى شعرت بمن يشدني من طرف سترتي الخلفي فالتفت ورائي وفوجئت بقرد هو الذي كان يشدني من طرف سترتي . وقبل أن أنبس بكلمة همس رئيس الديوان في أذني :

ـ هذا قرد الباي .

وسألته همساً أيضاً :

ـ وهل تقضي التقليد باشتراكه في موكب النيشان ؟!

ورد الرجل باسماً :

ـ إنه حر في تحركاته . . . ولعله كان يحييك وهو يشدك من سترتك

ـ وهل هذه تحية ؟

ـ أحمد ربك أنه لم يداعبك ويتمادى في المداعبة إلى عضك .

ـ وما يدريك أنه لن يفعل ؟

ـ لا اطمئن إنه لا يداعب إلا من يألف إليه وبعد عدة مرات ، إنه يداعبنا جميعاً .

وسار القرد في الموكب حتى انتهى ، وعندما مد رجال الحاشية أيديهم ليصافحوني مودعين مد هو الآخر يده إليَّ يصافحني مودعاً

* * *

والواقع أن « باي تونس » كان يملك ولا يحكم . . وكانت تقاليد الحكم كلها في يد المقيم العام الفرنسي ، يحكم البلاد حكم فرنسا لجميع مستعمراتها . لذلك كان الباي يعيش في فراغ يشغله بهواياته العديدة

وعلى رأسها الموسيقى

وكان رجال حاشية الباي لا يجدون ما يفعلونه ، ويعيشون في القصر ~باة تنابلة السلطان ، ويشاركون الباي هواياته ، ويشيدون بموسيقاه ويغنون معه في بعض الأحيان موشحاته وقصائده ، ويتبارون معه في الشطرنج ويمكنونه من هزيمتهم لينالوا الرضا السامي وقد دعاني رئيس الديوان إلى مباراة شطرنج مع الباي وهمس في إذني :

- طبعاً ستمكن عظمته من هزيمتك .

قلت ضاحكاً اطمئنه

- سيهزمني عظمته بكل تأكيد . . . لأنني أجهل لعبة الشطرنج كلية !

بورقيبة يسدد دينه للشيخ إبراهيم

عرفت الحبيب بورقيبة عاهل تونس لاجئاً سياسياً في مصر . وكنت ألتقي به كثيراً في مقهاه المفضل . . مقهى الفيشاوي المشهور في حي الحسين الذي يقدم الشاي والنارجيلة

ومرت الأيام وعاد بورقيبة إلى تونس وأصبح رئيساً للجمهورية بعد إعلان استقلال تونس وفي أول لقاء لي معه وهو في هذا المنصب سألني بشغفٍ عن مصر وأخذ يردد ذكريات إقامته فيها ولما جاءت سيرة مقهى الفيشاوي سألني باهتمام

- الشيخ إبراهيم ما زال هناك ؟

- الشيخ إبراهيم مين ؟

- بائع الكتب السريح الضرير .

- نعم ما زال .

- هذا الرجل ملهم من عند الله سبحانه وتعالى إنه يعلم مضمون الكتب التي يحملها ويعرف أسماء مؤلفيها ومبلغ شهرتهم وقدرتهم كما يعرف مدى علم زبائنه ورغباتهم في القراءة وميولهم إلى الكتب ومؤلفيها ويحمل لهم الكتب التي تروق لهم

- هذا صحيح

- ورغم أنـه ضرير فـإنك إذا مـا طلبت منه كتـاباً يمـد يده ويخـرجه بأصابعه من بين رصة الكتب التي يحملها ولا يخطىء

- فعلاً

فاجأني بورقيبة بقوله

- إنني مـدين للشيخ إبـراهيم تـركت مصر وأنـا مـدين لـه بثمن بعض الكتب وسأعطيك هذا الدين لتسدده له مع تحياتي عند عودتك

وأعطاني مبلغاً يعادل عشرة أضعاف هـذا الدين وعـدت إلى مصر وقصدت مقهى الفيشاوي لأسدد للشيخ إبراهيم دين بورقيبـة وفوجئت بأنه مات ، فذهبت إلى بيتـه وسلمت النقود لأرملتـه وأولاده ، واستكتبتهم رسالة تحية وشكر للرئيس بورقيبة وبعـد فترة قصـيرة جاء رده عن طـريق السفـارة التونسيـة بالقـاهرة . . مبلغـاً كبيراً من المـال إعانـة لأسرة الشيـخ إبراهيم

في المملكة الأردنية الهاشمية :

رقص الهوانم
في حفل التتويج

في حفل تتويج الملك « طلال بن عبدالله » ملك الأردن السابق كنت واقفاً في فناء القصر الملكي أرقب توافد المهنئين من ملوك وأمراء ورؤساء وكانت ترابط في الفناء فرقة موسيقى الحرس الملكي تستقبل وتودع كل وفد من المهنئين بعزف سلام بلاده تأكيداً للترحاب به .

وأطال أحد هذه الوفود المقام داخل القصر . وطلبت من قائد الفرقة الموسيقية أن يـرفه عنـا بعزف نغم عـربي حلو ، فاستجـاب وعزف « رقص الهوانم » وهي موسيقى معروفة وحلوة وشائعة في مصر

وفي عنفوان العزف فوجئنا بنزول الوفد الكبير المهنىء وحار قائـد الفرقة الموسيقية وارتبك ولم يعرف كيف يتصرف ولحسن الحظ أن أعضاء هذا الوفد كانوا لا يعرفون « رقص الهوانم » !

قائد طائرة برتبة « ملك ! »

في زيـارة لي للأردن دعـاني « الملك حسـين » عـاهـل الأردن لجـولـة يطوف بها أرجاء المملكة

وفي « رام الله » نـزلت مع الملك حسـين والحاشيـة في فندقهـا الكبير ذات مساء وقبل النوم قال لي رئيس الديوان الملكي :

ـ جهز نفسك في الصباح الباكر لركوب الطائرة إلى القدس .

وكنت جاهزاً للسفر في الصباح . ووقفت في بهـو الفندق مـع رئيس الديوان ننتظر نزول الملك والمسافرين في ركبه .

وفجـأة رأيت الملك يهبط في المصعـد . ولم أصـــدق عيني وأنـا أراه يرتدي ملابس الطيران . . ملابس قائد الطائرة ، وسألت رئيس الديوان :

ـ لماذا يرتدي الملك هذه الملابس ؟

ـ لأنه هو الذي سيقود الطائرة .

ـ أي طائرة ؟

ـ الطائرة التي سنركبها

وارتعدت خوفاً ولم أستطع أن أداريه . . وابتسم رئيس الديوان وقال لي :

ـ لا تخف   الملك طيار ماهر .

وحرت ماذا أفعل ، ولم أجد سبيلاً للإعتذار عن الرحلة ، إذ فاجأني الملك منادياً

ـ هيا يا أستاذ إلى المطار .

وذهبنا إلى المطار . وطـار بنا الملك إلى القـدس . . وأشهد إن هـذه الرحلة كانت من أهدأ وأسلم رحلاتي الجوية .

في الكويت :

شعار على باب قصر السيف

في الخمسينات زرت الكويت لأول مرة ، وهي في بداية عهدها باستثمار ثروتها الطبيعية الضخمة من البترول .

ولم يكن هناك فندق أنزل فيه ، وأقمت في استراحة دائرة المعارف التي تطل على الخليج والتي ينزل فيها الزائرون من كبار رجال التعليم في مصر والبلاد العربية الشقيقة الذين تدعوهم دائرة المعارف للمساهمة في إرساء قواعد نهضة التعليم في الكويت وكانت هذه الإستراحة عبارة عن بناء صغير متواضع ، ولم تكن أجهزة التكييف قد دخلت الكويت بعد ولذلك كانوا يحملون أسرة نزلاء الإستراحة في الليل إلى السطح للنوم في الهواء الطلق هرباً من حر الغرف الخانق .

وكان يحكم الكويت حينئذٍ « الشيخ عبدالله السالم الصباح » وهو الذي وقع معاهدة استقلال الكويت في ١٩ يونيو / حزيران سنة ١٩٦١ مع بريطانيا وكان يتخذ مقراً لحكمه « قصر السيف » وهو دارة صغيرة متواضعة ليس فيها أبهة ولا زخرف سوى بعض إطارات « براويز » مذهبة تضم صوراً منقولة عن اللوحات العالمية المشهورة « الجوكوندا » و« الموناليز » وغيرهما مطعم بها سقف غرفة المكتب المتواضعة الأثاث

وكانت مقابلتي للشيخ « عبدالله الصباح » للتعارف . ولم أكن في حاجة لإجراء حديث معه للنشر وقد قرأت أعلى باب القصر عند دخولي

كتـابة محفـورة في الحجر للحكمـة المـأثـورة « لـو دامت لـك مـا امتـدت لغيرك »

وأشهـد أن هذا الـرجل كـان أكثر حكـام العـالم الـذين التقيت بهم تواضعاً وزهداً في الدنيا ومتاعها .

تخطيط للكويت على الرمال

توفي « عبدالله الصالح الصباح » في سنة ١٩٦٥ وتولى الحكم من بعده شقيقه « صباح السالم الصباح » وقد عرفت « صباح السالم » في زيارتي الأولى للكويت في الأربعينات وكان يشغل منصب رئيس دائرة الشرطة .

وقد استقبلني أول مرة على دكة أمام مبنى دائرة الشرطة المطل على الخليج وكان في يده عصا ، أخذ يرسم بها على الرمل تخطيطاً لمدينة الكويت كما ينتظرها ، ويشير بها أيضاً إلى الأماكن من حولنا التي ستقام عليها العمائر والمنشآت

ومرت الأيام وتوالت زياراتي للكويت ، ورأيت تخطيط « الصباح السالم » لمدينة الكويت على الرمال وقد أصبح حقيقة واقعة ، وقامت العمائر والمنشآت في أماكنها باسقة شاهقة . وكنت ألقى الرجل وهو ينتقل من منصب وزاري إلى آخر حتى أصبح نائباً لرئيس الوزراء . ثم رئيساً للوزراء ، وأخيراً أميراً للكويت .

وفي كل مرة يذكرني بتخطيطه على الرمال . وكيف أصبح الحلم حقيقة .

ممنوع النفاق والمجاملة

لعل أبرز ما ساعد الكويت على نهضتها إلغاء النفاق والمجاملة في تعامل الناس معها فقد رأيت وسمعت في مجلس « الشيخ صباح الأحمد الصباح » وزير الخارجية الحالي وقت أن كان وزيراً للاعلام رأيت موظفاً كبيراً من بلد عربي شقيق كان يشغل منصب الوزارة فيه ويعد في طليعة علمائه . وكنا في الصيف ، وصيف بلاد الخليج حار شديد الرطوبة لا يحتمل بغير أجهزة التكييف ، واعتاد الكويتيون قضاءه في شواطىء الاصطياف الشهيرة في أنحاء العالم . وكان الحديث يدور حول هذا عندما سأل الشيخ صباح الموظف الكبير لماذا لم يسافر هذا الصيف للإصطياف ولو في بلاده المعقولة المعتدلة الجو فأجاب الرجل :

ـ ولِمَ أُسافر ، والكويت سويسرا العرب

ورد عليه الشيخ صباح في ضيق مؤنباً :

ـ ما هذا الذي تقول . . . أنسيت أن النفاق والمجاملة عملة ممنوعة من التداول عندنا !

وخرس الرجل ، ولم يحر جواباً

علمنا أمير الكويت
ألف باء البترول

وقت أن زارت بعثة دار الهلال الكويت في مطلع الستينات كان الشيخ جابر الأحمد الصباح « أمير الكويت الحالي يشغل منصب « شيخ الأحمدي » منطقة تصدير البترول في الكويت .

وعندما استقبلنا في زيارتنا للأحمدي ذكر فكري أباظة بخلاف قديم طريف ، « كان فكري أباظة وظل حتى وفاته ، يسكن في عمارة الاموبيليا أول عمارة عالية الإرتفاع متعددة الطبقات تُبنى في مصر . وكان لا يضع سيارته في الكاراج لكثرة خروجه ، بل يركنها في شرع قصر النيل أسفل العمارة في مكان عُرف أنه اختص به ولذلك لم يكن أحد يزاحمه في هذا المكان ، إلى أن جاء يوم وفوجىء فكري أباظة عند عودته إلى بيته بسيارة فارهة فاخرة تشغل مكانه المخصص لسيارته بشارع قصر النيل . وثار فكري أباظة وأخذ يصيح مردداً ومكرراً

ـ من هو صاحب هذه السيارة . . . كيف يجرؤ على احتلال مكاني أين هو لينقل سيارته إلى مكان آخر ويرد لي مكاني ؟

وفجأة وجد أمامه صاحب السيارة . . . الشيخ جابر الأحمد الصباح :

ـ حلمك يا استاذ فكري متأسف . . . لم أكن أعلم أن هذا

المكان خاص بك . . سأنقل سيارتي حالاً

وكان لقاء التعارف ، واعتذر فكري أباظة عن ثورته ، وأصر على ألا ينقل الشيخ جابر سيارته ، وأن يقبل منه استضافتها في هذا المكان طول إقامته في القاهرة على أن يضع هو سيارته في الكاراج

وضحك الشيخ جابر بعد أن ذكر فكري أباظة بهذه الحكاية الطريفة وقال له :

- أنت هنا في الكويت حر في أن تضع سيارتك حيث تشاء ولن تجد من يعارضك .

* * *

وقبل أن نمضي في جولتنا في الأحمدي جلسنا إلى الشيخ جابر في مكتبه نستمع إلى « ألف باء البترول » ، قال لنا

- بعد التأكد من وجود الطبقة الحاوية للبترول تبدأ عملية إخراجه للسطح وفي معظم الأحوال وخصوصاً في الحقول الجديدة يصعد البترول تحت تأثير الضغوط الكبيرة التي تؤثر عليه في باطن الأرض ، وهذه الضغوط نتيجة لوجود كميات كبيرة من الغازات الطبيعية التي تكون غالباً مع البترول الخام ، إما منفصلة عنه أو مخلوطة به وتزيد تلك الضغوط أحياناً لدرجة يصعب معها التحكم في صعود الزيت والغازات المتدفقة إلى السطح حيث تكون على شكل نافورة قد ينتج عنها حرائق يصعب التغلب عليها ولكن بتطبيق الوسائل الحديثة أمكن تجنب حدوث مثل هذه النافورات وما يتبعها من خسائر وخطورة ، وكلما زاد عمر البئر تقل الضغوط الأرضية التي أصبحت ضعيفة ولا يمكنها التغلب على عمود الزيت الذي يبلغ طوله طول عمق الطبقة الحاوية للبترول من السطح وفي هذه الحالة يجب إستعمال الطرق الصناعية لإستخراجه ، وأول هذه الطرق إستعمال المضخات والطريقة الثانية تتم باستعمال الغاز أو الهواء عن



مع أمير الكويت الشيخ أحمد الجابر الصباح

طريق ضغطه في انبوبة وسط القيسون ، تصل السطح بقاع البئر فينزل من هذه الأنبوبة ليهرب ثانية من الحيز الموجود بين الأنبوبة الوسطى والقيسون وبخروجه هكذا يحمل معه الزيت إلى السطح ، وعند نهاية عمر حقل البترول تنقص نسبة الغازات نقصاً كبيراً مما يتعذر معه استمرار الإنتاج

وثمة معلومة عن البترول أحاطنا بها الشيخ جابر وكنا نجهلها تماماً أن البترول يهجر من مكانٍ لآخر تحت تأثير الضغوط التي تقع عليه فيمكن سحبه بواسطة بئر في مكان بعيد قد يملكه شخص آخر . . وبمعرفة تلك الضغوط المؤثرة على البترول والتأكد من خواص الطبقة الحاوية له وسمكها ومساحة الحقل يمكن حفر الآبار اللازمة واحتساب أبعادها عن بعضها للحصول على أكبر نسبة من البترول الموجود .

وكان حديث الشيخ جابر الأحمد عن البترول مفيداً وطويلاً يحتاج وحده لكتاب

وكان الدرس الثاني
في البترول على يد
الشيخ « عبدالله الجابر »

وقدر لنا أن يكون الدرس الثاني في البترول على يد الشيخ عبدالله الجابر الصباح وزير المعارف وفي بلاد البترول لا يخلو مجلس من حديث البترول وكان حديث الشيخ عبدالله الجابر عن أصل البترول قال لنا

- « تضاربت النظريات في منشأ البترول ، فمن قائل أن أصله نباتي ، ومن قائلٍ أنِ أصله حيواني ، والرأيان متفقان في أن أصله عضوي

والنظرية النباتية كانت شائعة منذ ثلاثين سنة بسبب أن معظم آبار البترول في العالم قريبة من مواطن الفحم ، خصوصاً في الولايات المتحدة الأميركية ، فاعتقد الجيولوجيون إذ ذاك أن هناك علاقة بين البترول والفحم ولما كان البترول من كربون وهيدروجين . وكان الفحم غنياً بالكربون ، استنتج الجيولوجيون أن البترول ليس إلا فحماً فيه كمية من الهيدروجين ، أي أن منجم الفحم قد يتحول جزء منه إلى مستودع بترول .

وكان هذا الرأي نتيجة استنتاج محلي في الولايات المتحدة الأميركية فقط حيث اتضح التوافق بين مناطق البترول والفحم ، ولكن تبين خارج



صورة تذكارية بالزي العربي الذي قدمه لنا الشيخ عبدالله الجابر الصباح وزير التربية والتعليم

الولايات المتحدة الأميركية أن البترول يوجد في مناطق لا فحم بها بتاتاً وهذا يهدم النظرية النباتية كما يتبين فإنه في كثير من البقاع حتى في الولايات المتحدة نفسها يوجد الفحم في مناطق ليس بها بترول . . . لذلك هاجر العلماء النظرية النباتية ولجأوا إلى النظرية الحيوانية .

والنظرية الحيوانية هي السائدة في الوقت الحاضر عن أصل البترول . وهي تقول إن المواد العضوية التي ترجع الى أصل حيواني أو نباتي كالأعشاب والنباتات البحرية التي دُفنت بفعل الطبيعة أزماناً طويلة في باطن الأرض مع الطمى والرواسب بعيداً عن الهواء تعاني من ضغوط وحرارة عالية . وهي ظروف كافية لتحويل تلك الموان العضوية إلى غازات هيدروكربونية وبترول تمتلىء بها مسام الصخور في باطن الأرض ـ ونظراً لضيق مكان تجمعه ـ ونتيجة للضغط الشديد الواقع عليه من عوامل الطبيعة ، يبدأ البترول في التسرب والإنتقال إلى مكانٍ آخر يتجمع فيه حيث يقل الضغط وتُسمى هذه الحالة « الإنتقال الأول » أو « الهجرة الأولى » للبترول . وقد ينتقل البترول مرة أخرى إلى أن يستقر به المقام أمام طبقة صخرية غير مسامية متماسكة تعترض طريقه ولا تسمح له بالتسرب فيتجمع في هذه المنطقة التي تُسمى « مصيدة البترول » .

وتختلف مصائد البترول في أشكالها طبقاً للعوامل الطبيعية التي تطرأ على القشرة الأرضية نتيجة لإختلاف الضغط من منطقة إلى أخرى أو بسبب هزات أرضية أو غيرها . . فقد يحدث تقوس لأعلى وتتكون بذلك مصيدة هامة يتجمع فيها البترول . وقد يحدث فالق طولي للقشرة الأرضية ينتج عنه هبوط طبقات القشرة من ناحية بينما تظل النواحي الأخرى كما هي أو ترتفع لأعلى وبذلك يتقابل البترول في سيره بطبقة جديدة صماء تساعد على صيده في هذا المكان .

ويبدو أننا استوعبنا درس وزير المعارف جيداً ، بصورة أرضته ، إذ خرجنا من عنده وقد ارتدينا الزي العربي . . . زي أهل الكويت . . هدية منه .

في الأمارات العربية المتحدة :

عندما أحرج « الجونج » الشيخ زايد

« الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان » رئيس الإمارات العربية المتحدة عرفته أول مرة أيام حكم أخيه « شخبوط » حاكم أبو ظبي السابق وكان اللقاء في داره « بالعين » المدينة الثانية في أبو ظبي وكان الشيخ زايد حاكماً أو أميراً لهذه المدينة وقتئذٍ . وكانت مجرد واحة متواضعة المباني والمنشآت وهي الآن مدينة ضخمة عصرية بعد أن حباها الشيخ زايد بالتعمير والإنشاء وفاء لحبه لها ،تعلقه بها خلال إقامته الطويلة فيها

وعندما تولى الشيخ زايد الحكم في أبو ظبي ذهبت أُهنئه في القصر القديم المتواضع وجلسنا في مكتب صغير بسيط يحدثني عن الأماني والآمال لمستقبل أبو ظبي قلت للشيخ زايد :

- إنشاء الله أتمنى أن تصبح أبو ظبي مثل الكويت

ورد الرجل على الفور :

- بل أتمنى أن تصبح الكويت مثل أبو ظبي

وصحت التمنيات وأصبحت الكويت وأبو ظبي فرسا رهان في ميدان التقدم الحضاري والتعمير العصري

وفي زيارتي الأخيرة لأبو ظبي حملت معي للشيخ زايد بعض الهدايا من منتجات خان الخليلي التي تعجبه وكان في البادية في رحلة صيد



مع الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الامارات العربية المتحدة

فذهبت إليه أحمل هداياي ووصلت قبيل المغرب ، وكان الشيخ زايد في مجلسه بين الناس أهل المنطقة على الرمال في حلقة دائرة

وقدمت الهدايا ، وأمسك الشيخ زايد بها يتفصحها معجباً وممنوناً واختار من بينها« جونج » وهو عبارة عن طاسة من النحاس تقرع بمطرقة للدعوة إلى المائدة في العصور القديمة ، وانتقلت في العصر الحاضر إلى بعض بيوت الأمراء والأثرياء . وأمسك الشيخ زايد بالجونج وقرع الطاسة بالمطرقة فصدر عنها صوت جميل رن في الفضاء ، وسألني ماذا يعني هذا ؟ قلت :

ـ معناها أنت تدعو الناس الجالسين معك للعشاء .

وشرحت إستعمال الجونج التقليدي ودعا الشيخ زايد الجالسين حوله للعشاء على مائدته ، وقال لي ضاحكاً بعد العشاء :

ـ كنت أود أن أشكرك على هديتك . . . ولكن كيف أشكرك وقد ورطتني هذه الورطة !

في البحرين :

أمير البحرين أخجلني !

كنت في مجلس « الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة » أمير البحرين في قصره بالمنامة مساء يوم من أيام إحدى زياراتي للبحرين .

وبعد أن انفض المجلس دعاني الشيخ للعشاء معه . . وانتقلت معه من قاعة المجلس إلى غرفته في طرف الفناء حيث أعدت مائدة حافلة بأطايب الطعام   مائدة على الأرض طبقاً للتقاليد العربية الأصيلة

وأشار لي الشيخ للجلوس أرضاً ، وجلس هو أمامي ، ثم دعاني للطعام وأخذ يملأ صحني ولا يضع شيئاً في صحنه ويقول لي

- تفضل   كل

وظننت أنه ربما كان معتل الصحة ولذلك لا يأكل . . ومضيت آكل وأنا لا أجرؤ على سؤاله لماذا لا يأكل .

وبعد أن فرغت من الأكل فوجئت بالشيخ يبدأ بالأكل

وكان تكريماً لم أتوقعه ، ومعرفة لأول مرة بتقليد عربي قديم في تكريم الضيف .



مع أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة

حكاية من الحاكم

الحكاية حكاها لنا المرحوم « الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة » أمير البحرين السابق ، عندما زرنا البحرين ، بعثة دار الهلال المؤلفة من « اميل زيدان » صاحب الدار ، و« فكري أباظة » رئيس تحرير المصور وشخصي ،

واليوم أنشر الحكاية

كان الشيخ سلمان يحدثنا عن اللؤلؤ ويقول :

ـ رغم أن البترول يعد الآن عماد الحياة الإقتصادية في البحرين ، فإن صيد اللؤلؤ ما زال من حرف البحرين التقليدية المتوارثة ، وما زال اللؤلؤ من حاصلاتها الإقتصادية الهامة .

ومضى بنا الشيخ في الحديث عن اللؤلؤ حتى وصل إلى أهوال البحر وما يصادفه الغطاسون صيادي اللؤلؤ من أهوال البحر عندما يهبطون إلى قاعه من كهوف عظيمة وأودية وغابات مظلمة وقيعان موحشة وأسماك متوحشة . وحكى لنا هذه الحكاية التي رواها له أحد الغطاسين . . قال الغطاس للأمير :

« كنت مع زملائي يوماً في مغاص اللؤلؤ ، فنزل أحدهم إلى قاع البحر ولم تكد تطأ قدما أرض القاع حتى صعد إلينا مرعوباً يرتعد وأخبرنا بأنه شاهد امرأة من الجان جالسة وعليها عباءة سوداء ، وأتى لزيادة التأكيد

بشيءٍ من أوصاف العباءة . ورأى أحد الزملاء أن يغطس ليتحقق الخبر فجرى له مثل ما جرى لصاحبنا ، ثم نزل الثالث والرابع ، وهكذا حتى تكامل جميع من كان في السفينة ، واتفقوا كلهم على ما قاله الغطاس الأول ، فلما رأيت الجميع أضربوا عن العمل قررت أن أكشف الحقيقة بنفسي ، ونزلت فوجدت الأمر كما قالوا فدهشت وأصابني من الرعب ما كاد يضطرني إلى الخروج ، غير أن نفسي أبت عليَّ أن يتحدث الناس عني بأني جبنت ، وصممت على حل المبهم ولو كان فيه القضاء عليَّ ، فأقدمت ولويت بيدي على عنقها وأنا مغمض العينين فما شعرت إلا والدم يجري من يدي ، وأدركت حينئذٍ اني أصبت صخرة تلبست بعباءة لا يدري أحد كيف استقرت في مكانها هذا وكانت فرحتي كبيرة عندما عرفت الحقيقة ، ولكنني أردت مداعبة زملائي فلبست العباءة وصعدت إليهم وما أن رأوني حتى رموا أنفسهم في البحر وتركوا المركب وما فيها إذ إعتقدوا أن المرأة الجنية قضت عليَّ وصعدت لتقضي عليهم أيضاً ولم يتراجعوا إلا بعد سماعهم صوتي »

ومن أطرف ما حدثنا به الشيخ سلمان عن اللؤلؤ أنه مختلف الألوان وأغلى أنواعه ما كان لونه أبيضاً مشرباً بحمرة إذا كان كامل التكوين ، ثم يليه ما كان مشرباً بحمرة أشد من الأولى ويسمى « نباتياً » وأما ما كان ممزوجاً بخضرة فإنه رديء لا قيمة له ويُسمى « فلابيا » وما كان لونه كالزجاج يُسمى « زجاجياً » وما كان لونه كالسماء يُسمى « سماوياً » وما اشتدت زرقته يُسمى « سنقباسياً » وقد يشتري المرء لؤلؤة ظاهرها الحسن والجمال بثمن مرتفع ولكن لا يلبث أن يتغير جوهرها فتصبح لا قيمة لها وهذا من أعظم أخطار المتاجرة باللؤلؤ . والعلاج الناجح لذلك أن تقدم اللؤلؤة لدجاجة تزدردها ثم تخرج من معدتها فيرجع إليها ما فقدته من البهاء وقد يشتري المرء لؤلؤة ظاهرها القبح بثمن رخيص فإذا ما أُزيح عنها ثوبها كشفت عن لؤلؤة من أعظم اللآلىء



مع الشيخ سلمان بن خليفة حاكم البحرين الراحل

مصرع الشيخ

« اقتحم الشيخ صقر القاسمي » حاكم إمارة الشارقة الأسبق قصر الحاكم السابق « الشيخ خالد القاسمي » في عاصمة إمارة الشارقة مع بعض اتباعه وأطلقوا الرصاص فأُصيب الشيخ خالد وبعض رجاله إصابات قاتلة وجُرح بعضهم .

هذا هو الخبر الذي تناقلته وكالات الانباء وسر الحادث كما صرح به الشيخ صقر أن الشيخ خالد وهو ابن عمه قد اغتصب منه حكم الإمارة وسانده في ذلك المستعمر البريطاني لأنه كان يحمل على الشيخ صقر عدم تعاونه مع السياسة البريطانية .

والحقيقة كما أعرفها أن الشيخ خالد لم يسعى لتولي حكم الإمارة ولم يطلب مساندة المستعمر البريطاني ، فقد كان يملك متجراً في دبي للبويا وأدوات الطلاء وكانت تجارته واسعة وناجحة وتدر عليه دخلاً ضخماً ، وكان سعيداً قانعاً بالحياة مع زوجته وأولاده حياة هانئة حرة ، وكان راضياً موفقاً في تحمل مسؤوليات عمله ومسؤوليات أسرته يديرها وفق المصلحة والصواب .

وكنت أتردد عليه في زياراتي للمنطقة ماراً بالإمارات فأجده غارقاً لأذنيه في متابعة مشروعات تعمير الشارقة التي لم تكن وقت أن تولى الحكم فيها تختلف عن قرية من قرى الريف المنسية المهملة ، فقد كان الحاكم

السابق شاعراً موهوباً وكان مشغولاً طول الوقت بتنظيم قصائده وعقد ندواته وكان الشيخ خالد يشكو مر الشكوى ، يكاد يكون باكياً من غضبة الحكام العرب عليه وسوء فهم الشعوب العربية له بسبب ما كان يشيعه عنه الشيخ صقر من أنه صنيعة الإستعمار وأداته وهو بريء ، وما كان يستطيع أن يرفض تعيينه خليفة للشيخ صقر وهو أقرب أقربائه وأكثر شيوخ الشارقة علماً ونوراً فضلاً عن ممارسته الحياة الإجتماعية ودرايته الإقتصادية والمالية في اشتغاله سنين طويلة بالتجارة . وكان أشد ما يحزنه الإشاعة الكاذبة عن غضب الرئيس جمال عبد الناصر عليه ، وفي آخر مرة رأيته فيها أخرج من درج مكتبه برقية مطولة من عبد الناصر يرد فيها على تهنئته له بعيد الثورة المصرية وقال لي :

ـ لو كان عبد الناصر غاضباً عليَّ هل كان يرسل لي هذه البرقية ؟

وطالما قال لي إنه مد يده إلى سلفه الشيخ صقر للصلح فلم يقبل وصارحني بأن عدم رضاء الانكليز عن الشيخ صقر يرجع إلى إسرافه الشديد وإنفاقه ميزانية الإمارة كلها تقريباً على مريدي أشعاره ورواتها ، وليس السبب أنه كان معادياً للإستعمار البريطاني فكلنا نعادي هذا الإستعمار حكاماً وشعوباً في جميع الإمارات لا يشذ منا أحد . . ولا أكتمك أن هناك بعض شيوخ الإمارة وأعداد من شعبها كانوا وراء الإنكليز في تنحية الشيخ صقر .

وحاول الشيخ صقر تأليب شعب الشارقة ضد الشيخ خالد لخلعه وإعادته مكانه فلم يفلح ، وكان الشيخ خالد قد مضى في مشروعات التعمير لصالح شعبه وتغيير وجه الإمارة .

* * *

وخرج الإنكليز من الشارقة ومن الإمارات كلها وتأسست دولة الإمارات العربية المتحدة شابة فتية قوية تضم جميع الإمارات ، وانتهزها الشيخ صقر فرصة ليعاود محاولته خلع الشيخ خالد والعودة إلى منصبه

ولكن دون جدوى فقد نمت الشارقة وأصبحت ركناً قوياً في الإتحاد ، ولم يكن هناك من يشكو من الشيخ خالد أو يثور على حكمه ، بل على النقيض تبدلت أحوال البلاد وأصبحت مفخرة لشيوخها وتعددت مصادر الرزق والكسب . وأصبح للشارقة ميناؤها الدولي وتفجرت فيها آبار البترول . وأضاءت العاصمة وتبدلت مبانيها القديمة وأكواخها بعمارات شاهقة ، وشقت فيها الشوارع الممهدة الواسعة بدل الطرقات الضيقة المتربة وانتشرت فيها الحدائق والأشجار والنافورات المضيئة .

وكان مصرع الشيخ خالد على يد الشيخ صقر بعد أن استبد به اليأس ولم يعيده مجلس الإمارات إلى كرسي الحكم ، ولم يثر الشعب ويطالب باعادته . . . فحكم الشارقة « الشيخ سلطان » شقيق الشيخ خالد الأصغر .

في اليمن :

استخارات إمام اليمن

إمام اليمن « أحمد بن يحيى » كان نموذجاً فريداً عجيباً بين حكام العالم أقرب إلى شخوص الأساطير والخرافات . . . وكان يعيش ويعيش شعبه معه حياة فجر التاريخ في عصر الذرة وكان له أسلوب غريب في الحكم وفي تصرفاته الخاصة ، لا يبرم أمراً ولا يعمل عملاً إلا بعد الإستخارة

سافرت في عهده إلى اليمن للقيام باستطلاع صحفي ، وتحدد لي أسبوعاً لهذه المهمة ، ولكنني قضيت فيها شهران بالتمام والكمال ، فكيف كان ذلك ؟

كان مقرراً أن أزور ثلاث مدن « صنعاء » و« تعز » و« الحديدة » . ووصلت أولاً إلى صنعاء ونزلت في « دار الضيافة » شيء أشبه بالربع أو الخان الذي قرأنا عنه في ألف ليلة وليلة الذي كان ينزل فيه المسافرون لراحتهم وراحة دوابهم . . . ولم تكن هناك فنادق في هذا العهد . . . وكانت الإقامة في دار الضيافة بالمجان نوماً وطعاماً ، على نفقة الدولة التي تتركز وتنحصر في شخص الإمام وكان الطعام في هذه الدار وفيراً ويتكون من عدة أطباق ، الطبق الرئيسي فيها سائل مائع أشبه بالملوخية لا طعم له ولا نكهة . . . أما اللحم فيُطهى بطريقة تذهب بطعمه وشكله . . وليس للنزيل حيلة في الاستعاضة عن طعام دار الضيافة بطعام



يشتريه من الخارج لأن الأطعمة المحفوطة التي تباع في السوق أوعيتها لا تطمئن شكلاً فما بالك موضوعاً ؟! والمطاعم الموجودة في المدينة لا تقدم إلا نفس الطعام الذي يُقدم في دار الضيافة ، مع فارق هام أنك في دار الضيافة لا ترى أين وكيف يُطبخ الطعام ، ولكن في المطاعم ترى بنفسك وأمامك كيف يُطبخ الطعام والأواني التي يُطبخ بها وتستعيذ بالله مما ترى .

عشاء على مائدة محمد البدر إمام اليمن

ولم تكن المشكلة في دار الضيافة الطعام فقط ، بل الوحدة القاتلة فأنت بين خليطٍ من شعوب العالم لا تألف سحنتهم ولا تعرف لغتهم . . ولو شئت الترويح عن نفسك بالخروج إلى شوارع المدينة الضيقة الترابة الصاعدة الهابطة ولا بد وأن يكون خروجك ليلاً لأن خروج النهار يعرضك لحرارة الشمس الملتهبة ورطوبة الجو الخانقة ترى في كل دكان صاحبه جالساً على الأرض وقد وضع إلى جانبه « حزمة قات » ـ النبات المخدر الذي عرقل نهضة اليمن سنواتٍ وأجيال ، وترى صاحب الدكان يضع أعواد القات في فمه ويمضغها فترة ثم يخزنها في جانبٍ من فمه . . ويمضي يمضغ ويخزن حتى ينتفخ أحد شدقيه . . وبعد ذلك يأتي دور

« التسييح » والتسييح بـالنسبـة لمـدمن الحشيش أو الأفيـون بشرب سـائـل ساخن وهو الشاي غالباً . . أما بالنسبة لمتعاطي القات فهو بشرب جرعات من الماء البارد من قلة فخار يضعها إلى جانبه بجوار حزمـة القات . . وإذا ما وصل مدمن المخدرات إلى حد التشبع من التخدير تصلب جسـده وفقد وعيه وقام يتخبط ويتعثر في طريق عودته إلى بيته الذي تقـوده إليه قـدماه ، دون حسٍ أو شعـور كما تعـود الـدابـة إلى بيت صـاحبهـا دون مـرشـدٍ أو قائد . . وما يكاد يصل إلى فراشـه حتى يرتمي عليـه قطعـة جماد صـماء فلا ينهض إلا عصر اليوم التالي . وقد استشرى خطر القات في اليمن في عصر الأئمة فيما سبق الثورة وكانت لـه زراعات واسعـة حتى في مزارع الإمـام نفسه

والزائر لليمن اليوم وقد نهضت بها الثورة نهضة كبيرة شاملة في جميع نـواحي الحياة والعمـران لا يكاد يعـرفها إذا مـا كـان قـد زارهـا في عهـد الأئمـة . المباني ذات الـطابع البـدائي والصرف الصحي في قنـوات رأسيـة محفورة على واجهة البيت تصل ما بين دورات المياه وأرض الشارع والمرأة كانت تعيش في حجابٍ كامل يغمرها من قمـة الرأس إلى أخمص القـدم وكانت إذا ما سارت في الطريق ليلاً يسبقها غلام يحمل فانوساً مضاءاً حتى يحذر المارة الإقتراب منها أو إعـتراض طريقهـا وكانت إذا مـا زارتها النسـاء يخلعن أحذيتهن ويضعنها عـلى باب البيت الخـارجي فإذا مـا عاد صـاحب البيت فجـأة ورأى هـذه الأحـذيـة عـلى البـاب قفـل راجعـاً من حيث أتى ويغيب الفـترة التي يعتقـد أن الـزائـرات قـد انصرفن فيهـا ثم يعـود إلى البيت .

* * *

ومر أسبوع وأدركني السأم والملل وقلت لمرافقي من رجال التشريفات في قصر الإمام

ـ أريد السفر إلى تعز

ـ لا بأس

ـ متى ؟

ـ عليك أن تنتظر .

ـ أنتظر ماذا ؟

ـ صدور أمر جلالة الإمام

وأنتظرت أسبوعاً آخر ولم يصلني أمر الإمام بسفري . واستوضحت مدير دار الضيافة

ـ متى يصدر أمر الإمام ؟

ـ الأمر يتوقف على الإستخارة . جلالة الإمام لا يصدر أمراً إلا بعد الإستخارة وعندنا طائرتين صغيرتين تسافران بين صنعاء وتعز والحديدة ، ولكنهما لا تقلعان إلا بأمر الإمام والإمام لا يصدر أمراً إلا بعد الإستخارة .

ـ كم تستغرق هذه الإستخارة ؟

ـ أنت وحظك !

وكنت محظوظاً إذ صدر أمر الإمام بسفري بعد أسبوعٍ آخر .

وسافرت إلى تعز ولم أجدها تختلف كثيراً عن « صنعاء » بالرغم من أنها العاصمة السياسية والإمام يقيم فيها معظم الوقت .

وطالت إقامتي في تعز وأدركني الضيق والسأم وأنا أُقيم أيضاً في دار للضيافة وكنت قد طلبتُ فور وصولي تعز مقابلة الإمام وإجراء حديث معه . وقيل لي طبعاً :

ـ لا بأس . . ولكن إنتظر إذن الإمام .

وأدركت من هذا الجواب أن عليَّ أن أنتظر الإستخارة مرة أخرى .

وانتظرت أسبوعين حتى أذن لي الإمام بمقابلته وذهبت إلى القصر أعلى قمة الهضبة المشرفة على تعز . ورأيته قصراً متواضعاً رغم ضخامته وساروا بي في أروقة ودهاليز وأنا أعتقد أنني سألتقي بالإمام في قاعة العرش أو في مجلسه الشعبي أو من الجائز في مكتبه الخاص . ولكني ذهلت عندما دخلوا بي على الإمام في غرفة صغيرة تكاد تكون عارية من الإثاث . . ورأيته جالساً على الأرض مع غلامٍ صغير يشتركان في تسيير قطارٍ على دوائر من القضبان لعبة الأطفال المعروفة وكان الإمام والصبي يهللان ويصفقان مرحاً وطرباً عندما يتوقف القطار في إحدى محطاته أو يعبر كوبري « جسر » أو يطلق صفارته . واستقبلني الإمام مرحباً ومد يده يصافحني ويشدني لأجلس معه إلى جانبه . وأمر التشريفاتي المرافق لي بالجلوس أيضاً واشتركنا جميعاً في لعبة القطار ، واحلوت اللعبة ومضى الوقت . ولم أجد بداً من أن استأذن الإمام في حديث صحفي فقال :

ـ لا بأس .

والتفت إلى التشريفاتي وأصدر أمره ، هذه المرة ويالعجبي بدون استخارة :

ـ أعطيه الحديث .

وفاجأني بالوقوف ورفع صورة له كانت معلقة على الحائط وقال لي :

ـ خذ هذه الصورة وأنشرها مع الحديث . . مع تصحيح الخطأ فيها هل عرفته ؟

قلت

ـ الحقيقة إنني أراها صورة جميلة .

ـ نعم لولا ما بها من خطأ ألم تلحظه بعد ؟

ـ عفواً أرجو إرشادي إليه ؟

ـ ذقني تراها بيضاء في الصورة . . وها هي كما تراها أمامك

سوداء .

وأدركت في داخلي أنه يصبغ ذقنه ويريدها في الصورة مصبوغة أيضاً   ووعدته بإصلاح الخطأ وانتهزتها فرصة لأطلب السفر إلى الحديدة   وكان جواب الإمام كلمة واحدة :

ـ إنتظر

وكدت أصرخ   أنتظر ماذا ؟   الإستخارة   وكتمت الصرخة في صدري

وسألت التشريفاتي في طريق العودة إلى دار الضيافة

ـ هذا الصبي الذي يلعب معه الإمام هل هو ابنه ؟

ـ لا   إنه غلام يتيم يتبناه الإمام ويرعاه ويؤثره بحبه وحنانه ويعتبره أعز أبنائه

وانتظرت أيضاً أسبوعين حتى صدر الأمر من الإمام بسفري إلى الحديدة .

وفي مطار تعز يوم سفري رأيت طائرة الإمام الخاصة تعد لرحلة إلى المملكة العربية السعودية   وأدهشني وجود عشرات القدر « الجرار » الفخارية مرصوصة تحت جناح الطائرة والعمال يقومون بشحنها في مخزن الطائرة ، وسألت عنها

ـ هذه القدر ماذا بها ؟.   هدايا !

ـ لا إنها مملوءة بالماء لأن جلالة الإمام لا يشرب ولا يستعذب إلا ماء اليمن .

وسألت :

ـ متى تقلع طائرة الإمام ؟

وجاءني الجواب الفوري

ـ حتى يصدر أمر الإمام .

ـ ومتى يصدر أمر الإمام ؟

ـ بعد الإستخارة

وأسرعت إلى طائرتي المسافرة إلى الحديدة .

وفي الحديدة قضيت أياماً عصيبة وعانيت كل الأعراض النفسية والعصبية التي يعانيها البشر ، حتى أكملت الشهرين .. كان عليَّ أن أنتظر عودة الإمام من رحلته في السعودية حتى يصدر أمره بسفري عائداً إلى القاهرة .. بعد الإستخارة طبعاً !!

هذه الكتب كانت من
أسانيد الإطاحة بالبدر

لم تتح لي فرصة اللقاء بالإمام البدر ابن الإمام أحمد بن يحيى وآخر أئمة اليمن إلا وهو ولي العهد . . وكان لقائي به في القاهرة حيث استضفناه وكان وقتئذٍ محط آمال شعب بلاده الذي كان يترجى فيه الخلاص من جمود وتخلف حكم الأئمة ، ويأمل منه أن يخرجه من كهف الجاهلية الذي سُجن في ظلامه قروناً يخرجه إلى نور المدنية وحضارة العصر .

وتعددت اللقاءات وفتح البدر صدره ذات ليلة ونحن جالسين في إحدى شرفات قصر الطاهرة نستنشق هواءً نقياً معطراً بأريج زهور البرتقال والليمون المنتشرة في أرجاء حديقة القصر . . قال

ـ إنني أحب شعب بلادي وأكره معه نظام الحكم عندنا . . وأود لو استطعت أن أخلصه من هذا النظام عندما تؤول لي الإمامة وأُتيح له أن ينعم بالحرية والديمقراطية . . ولكن هل أستطيع أن أفعل ؟

ـ ولماذا لا تستطيع ؟

ـ لأنهم لن يتركوني أفعل .

ـ ومن هم الذين لن يتركوك تفعل ؟

ـ زعماء القبائل ورؤساء العشائر الذين يجدون في نظام الحكم الحالي

النفوذ والمغانم   سوف يثورون عليَّ ويطيحون بي من الإمامة

- ولِمَ لا تتوقع أن يطيح بك الشعب إذا ما صحا يوماً من نومة أهل الكهف ، ولا بد أن يأتي يوم يصحو فيه

- لا أظن فالشعب مقلم الأظافر منزوع السلاح .

- ولماذا لم تحاول إصلاح الأوضاع مع أبيك الإمام أحمد ؟

- لا أجرؤ ، وحتى لو تجرأت لن يستمع إليَّ .

وتوقف عن الحديث لحظة ثم عاد يقول في حذرٍ :

- لقد اندفعت في الحديث معك

- هذا الحديث حديث الصديق للصديق أو قل الأخ لأخيه .

- عدني إذن أنك لن تنشر شيئاً منه !

- أعدك هذا الحديث لن يُنشر الآن   ولكن في المستقبل من يدري . . وقد تطلب مني أنت بنفسك نشره . . إنني آمل في مستقبل اليمن معك وقد سمعت ما سمعته من حديثك .

وسكت البدر لحظة أخرى ، ثم عاد يقول في ألمٍ ومرارة :

- أشد ما يخيفني من المستقبل أنني لست مهيئاً له .

- ماذا تقصد ؟

- إنني لست مؤهلاً بما فيه الكفاية ثقافياً وسياسياً   ثقافتي تقتصر على تعليم القصر الأول . . مجرد القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من آيات القرآن كنت أود لو سافرت إلى الخارج ونهلت العلم في منابعه   ولكنهم لا يسمحون لي بالسفر حتى للسياحة . . ومن ناحية التأهيل السياسي فإن أبي لا يشركني في شؤون الحكم ولا يسمح لي بحضور مجالسه مع معاونيه في إدارة هذه الشؤون .

- أمر الثقافة هين   يمكنك تعويض ما فاتك في الدراسة بالقراءة اترك لي هذا الموضوع

- ماذا ستفعل ؟

- سأتفق مع أحد الناشرين من أصدقائي أن يعد لك مكتبة حافلة بألوان من العلوم والفنون والدراسات تأخذها معك عند سفرك وتخلو إليها بعد عودتك

- وهل تغني القراءة ؟

- نعم   تغني وتثري   ونحن أصحاب القلم مدينين للقراءة أكثر مما نحن مدينين للتعليم   وعندنا مثل حي   الاستاذ عباس العقاد عملاق الثقافة العربية لم يقطع من الدراسة سوى المرحلة الإبتدائية ولكنه سار في القراءة والإطلاع إلى أبعد شوط حتى أصبح في عداد أشهر كتّاب ومفكري العالم

- وددت لو أُتيح لي السفر والطواف بالعالم

- هناك كتب تنقل إليك العالم وتجعله بين يديك . . وليس السفر ضرورياً

* * *

وسافر الأمير البدر عائداً إلى بلاده بعد أن انتهت زيارته لمصر ، وقد شحنت المكتبة التي أعدها صديقي الناشر مع أمتعته .

ولم يطل الوقت وقامت ثورة شعب اليمن وأطاحت بالإمام أحمد وخلفه البدر في الإمامة ، ولم يفعل لشعبه شيئاً   لا حرية ولا ديمقراطية ولا شيء . . سار سيرة أبيه وجده ومن سبقهما من الأئمة في الحكم المطلق المفرد ، وبقيت حياة الشعب جامدة راكدة داخل الكهف المغلق عليه حتى عادت ثورة الشعب تطيح به كما أطاحت بأبيه

وعلمت لعجبي أنه كانت أسانيد الإطاحة به المكتبة التي أعـدها لـه الناشر صديقي ، فقد كان من بين الكتب التي اختارها هذا الصديق الخبيث مجموعة كتب جنسية ونسخة من ألف ليلة وليلة الأصلية بحكاياتها وصورها المكشوفة الجريئة !

توارد خواطر سلطانية

في الأربعينات زار مصر سلطان لحج الشاب « عبد الكريم » ، ولحج كانت سلطنة صغيرة تطل على ساحل شبه الجزيرة العربية الجنوبي ، وقد اندمجت الآن في جمهورية اليمن الديمقراطية

ذهبت للقائه في فندق « سميراميس » القديم حيث نزل ، وقد أعددت نفسي لحديثٍ سياسي طويل وقد سمعت عنه أنه شاب مثقف مطلع أتم دراسته في لندن ، ولكني وجدت فمه مقفلاً عن الحديث في السياسة ولو إشارة وتلميحاً وأدركت السبب على الفور . كان الإستعمار الإنكليزي يومئذٍ يحكم قبضته على المنطقة ، وكان إذا ما شك في ولاء الحاكم العربي في إحدى الدويلات أو الإمارات أو السلطنات بادر إلى خلعه وتعيين أحد أقاربه الموالين للإستعمار مكانه . وخشي السلطان الشاب أن تبدر منه في الحديث معي بادرة تغضب الإنكليز وبالتالي تهدد عرشه ، ولذلك آثر النجاة بالصمت عن السياسة فيما عدا عبارة كررها لي :

ـ إنني أحلم بأن أرى لحج دولة كبيرة عظيمة .

وقد تحقق حلمه جزئياً فقد أصبحت لحج جزءاً من دولة أكبر . . « جمورية اليمن الديمقراطية » .

* * *

واضطررت إلى تغيير مجرى الحديث مع السلطان الشاب من مجرى السياسة إلى المجرى الشخصي وقال لي إنه شاعر بالفطرة وشاء أن يسمعني أبياتاً من الشعر قال لي إنه يعتز بها كنماذج من شعره الجزل الجيد وأسمعني أولاً مطلع قصيدة له في الغزل

أبكاني بشاطىء النهر نوح الحمام على الغصن في البستان قريب الصباح

ثم أسمعني بيتين من قصيدة أخرى في مدح أبيه الحاكم السابق الراحل :

سبحان مالك خواطر الأمرا ونواصيها في كل حينٍ وزمان
إن طعناه عطفهم لنا قسراً وإن عصيناه عاقب بكل هوان

وأخيراً أسمعني أبيات من شعر التصوف بعد أن أفهمني أنه يميل إلى العزلة والتصوف في بعض الأحيان ، أنشد يقول

جاء عليَّ برضاه
الحبيب اللي حبيت زارني وهم لي بالوصال
حين شرق نور بهاه
شفت حالي من ألفيت حاط به وقهرني بالفصال
كان في الحق مناه

وقال لي السلطان الشاب أنه مغرم أيضاً بالغناء . وعلى الأخص الموال ، وسألني كما لو كان يمتحنني :

ـ أتعرف ما هو الموال ؟

قلت مستخدماً السؤال

ـ الموال هو بضعة أشطار من الشعر العامي تحكي في إيجازٍ حالة أو قصة لا يلبث المغني أن ينتقل منها إلى غناء أغنيته أو إنشاد قصيدته ؟



مع السلطان عبد الكريم سلطان حضرموت

وأحنى السلطان رأسه موافقاً وقال لي :

ـ أحسنت ، ولكن الموال لم يكن أول الأمر مقدمة للأغنيات ، وإنما كان فناً مستقلاً بذاته ينشد وحده ويكتفي بسماعه . والموال في ذاته قصة تحكي ميلاده ونشأته ففي كتب الأدب والتاريخ أن الرشيد حين حذر الشعراء من رثاء البرامكة أثر النكبة التي أنزلها بهم لجأ الناس إلى الشعر العامي يعبرون به عما يكنونه نحو البرامكة . وفي هذه الكتب كذلك أن « دنانير » جارية جعفر البرمكي رثته بقصيدة كانت تردد أثر كل منها « واموالياه » وإن هذا كان سبب تسمية هذا الفن بالموال وربما بداية ظهوره .

قلت :

ـ قدمت أم كلثوم فيلماً عن « دنانير » .

ورد السلطان :

ـ نعم . . شهدته عدت مرات وأعجبني .

وانتقل الحديث من الغناء إلى السينما وطويت أوراقي واكتفيت بالإستماع ، فقد كنتُ أمثل « المصور » وهو مجلة سياسية إجتماعية وليست فنية . وفي دار الهلال مجلة أخرى فنية « الكواكب » ولا شأن لي بها .

ومرت أعوام . ووقع في يدي صدفة ديواناً عن الشعر العربي في الأندلس وفي المغرب العربي .

وإذا بي أجد القصيدة الكاملة التي أسمعني السلطان عبد الكريم مطلعها « أبكاني بشاطىء النهر نوح الحمام » ولم أجدها باسم السلطان الشاعر بل باسم شاعر قديم اسمه « ابن عمير » من شعراء الأندلس ونزل بفاس . ووجدت في هذا الديوان أيضاً القصيدة الثانية التي أسمعني السلطان بيتين منها « سبحان مالك خواطر الأمرا » منشورة بالكامل ، وليست باسم السلطان هي الأخرى بل باسم شاعر آخر قديم كفيف من

مكناس إحدى مدن المغرب اسمه « المكناسي الزرهوني » أنشدها في مدح ابن الحسن المريني في القيروان . حتى شعر التصوف الذي أسمعني أبياتاً منه وجدته بالكامل في الديوان . ليس باسم السلطان بل باسم شاعر مغربي اسمه « الحراق » .

* * *

ترى الشعر لمن في الحقيقة ، إذا تجاهلنا أسبقية التاريخ . . وهل يكون الأمر خطأ من ناشر الديوان ! . . ولكن ثمة حقيقة هامة فاصلة لقد سمعنا عن « ابن عمير » و« المكناسي الزرهوني » و« الحراق » بين شعراء المغرب والأندلس . . ولكننا لم نسمع عن السلطان « عبد الكريم » بين هؤلاء الشعراء !

أو يكون الأمر مجرد توارد خواطر سلطانية !

في العراق :

مشتروات الملك
فيصل الثاني من لندن

في بداية الخمسينات قابلت « الملك فيصل الثاني » ملك العراق الراحل ، وآخر ملوكه قبل ثورة ١٤ يوليو /تموز ١٩٥٨ التي قام بها الجيش العراقي بقيادة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وإعلان الجمهورية وكان فيصل الثاني إذ ذاك ما زال شاباً يافعاً لم يبلغ سن الرشد وتحت وصاية خاله « الأمير عبدالإله » الذي كان يحكم بالفعل من وراء ستار الوصاية ، يسانده رئيس الوزراء « نوري السعيد » .

وكان الملك الشاب عائداً من رحلة في موانىء البحر الأبيض على ظهر يخت وامتدت إلى الجزر البريطانية مع إقامة بضعة أيام في لندن

ولم يكن هناك طائل من الحديث مع الملك الصغير أو أي كسبٍ صحفي ، لأنه كان ممنوعاً من الحديث إلا من خلال خاله الوصي عليه ، فضلاً على أنه كان محدود الثقافة وفي لسانه عي وبالكاد نتلقى بصعوبة بضع كلمات محدوة من حديثه . . وكان لا مفر من أن أقصر حديثي معه على استطلاعاته في رحلته وانطباعاته عنها . . وحتى مع قصر الحديث على هذه الناحية لم تكن حصيلته تصلح للنشر في مجلة « المصور » أكبر المجلات الأسبوعية وأوسعها انتشاراً في ذلك لوقت .

وحتى السبق الصحفي الذي خرجت به من هذه المقابلة لم أكن استطيع نشره . ففي خلال حديثي مع الملك الصغير سألت :

ـ ماذا اقتنيتم جلالتكم من تذكارات لهذه الرحلة ؟

وكـان جوابـه أن اقتادني إلى غـرفة داخليـة كبـيرة بـاليخت . ورأيت أمامي أكواماً من لعب الأطفال وقال لي :

ـ لقد اشتريت هذه اللعب من لندن .

وأضاف لعجبي

ـ في طفولتي كنت أحلم باللعب هـذه ، ولم تتح لي فـرصة الحصـول عليها وما صدقت أن وجدتها في لندن حتى اشتريتها كلها



حديث مع الملك فيصل الثاني خلال رحلته على ظهر يخت

هوامش لثورة ١٩٥٨ في العراق

في اليوم الثاني لثورة العراق في ١٩٥٨ كنت في بغداد ، وقد وصلتها بعد عناء ومشقة رحلة طويلة وعرة بسيارة نقـل من دمشق ، إذ كان مـطار بغداد قد أُغلق .

وصلت في الفجـر واتجهت إلى مبنى وزارة الدفـاع حيث كان « عبـد الكريم قاسـم » و« عبد السلام عارف » قائـدا الثورة يقيـان إقامـة دائمة . وعند وصولي كان عبد السلام عارف يُصلي الفجر ، بينما كان عبـد الكريـم قـاسم يجلس إلى مائـدة صغيرة وأمـامه طعـام الإفطار في انتـظار أداء زميله للصلاة . وقدمت نفسي لعبد الكريم قاسم . وانتظرنا صامتـين حتى انتهى عبد السلام عارف من الصلاة ، وتعارفنا ثم دعياني للإفطار معهما . . قـال لي عبد الكريم قاسم :

ـ تفضل افطر معنا .

وأضاف عبد السلام عارف :

ـ عيش وملح فليس عـلى المائـدة أمـامـك سـوى الخبـز والبيض والزيتون والجبنة . . والملح في الزيتون والجبنة . . وكان هناك أيضـاً صحن به تمر . . والعراق كما هو معروف منتـج التمر الأول عـلى مستوى العـالم . وبه أكبر عدد من النخيل . . مـلايين ، والتمـر فيه أنـواع ، جيدة وشهيـة

كلها ، وختمنا الإفطار بالتمر ، ووجدت في حلاوته المعادلة لشدة ملوحة الجبنة .

ومنذ البداية لاحظت في عيني عبد الكريم قاسم الغيرة من عبد السلام عارف ، كان عبد السلام عارف يتمتع بحب الناس وله شعبية واسعة . ولعل السبب الهام أنه كان خطيب الثورة ، وكان يحسن الخطابة وله موهبة بارزة في الإرتجال وبراعة في إنتقاء الكلمات الرنانة المثيرة ، بينما كان حظ عبد الكريم قاسم في الخطابة قليلاً . وفي لسانه عي وثقل بعض الأحيان عندما تخونه الكلمات المناسبة وتهرب منه . وكان عبد السلام هادئاً وديعاً في خطاباته ، بينما كان عبد الكريم قاسم ثائراً متنمراً وكان ذكاءً أو حرصاً من عبد الكريم قاسم ألا يخطب بعد عبد السلام عارف تحاشياً للمقارنة والمفاضلة بينهما

كذلك كان عبد الكريم قاسم قاصراً في شؤون الحكم بالعكس من رشد عبد السلام عارف . وهذا ما كان يبدو دائماً في إجتماعات قيادة الثورة واجتماعات مجلس الوزراء ، ولولا أن عبد السلام عارف كان يمسك بالدفة في هذه الإجتماعات لما سارت سفينة الحكم في تلك المرحلة الدقيقة في تاريخ العراق .

ومع إقامتي الممتدة في بغداد تركت الفندق واستأجرت غرفة في بنسيون تملكه أسرة أتورية والأتوريين أو الآشوريين في العراق طائفة خاصة تنحدر من السلالة الآشورية القديمة وتمتاز نسائهم بجمال أخاذ أجمل ما فيه العيون السوداء البراقة والشعر الأسود كالليل . وهم يعيشون في حذرٍ واحتياط دائمين موالين للحكومة أياً كانت وفي أي وقتٍ شأن الأقليات في كل بلد ، ورغم أنه قد توثقت بيني وبين أفراد الأسرة علاقة قوية واستفادوا مني مادياً فائدة لا بأس بها ، فإنهم رفضوا نزولي عندهم عندما عدت إلى بغداد بعد استبعاد عبد السلام عارف وانفراد عبد الكريم قاسم بالحكم ، وكان معروفاً أن مصر تساند عبد السلام عارف .

* * *



دعوة للإفطار مع عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف

وكانت تسليتنا وسلوانا الوحيدة في إقامتنا الطويلة في بغداد إما في بيت حافظ جميل شاعر العراق الذي كان يتعرض لأذى وتنكيل سلطات الحكم قبل الثورة إذا ما نحا في شعره نحو نقد الأوضاع السائدة وكان مورد رزقه الأساسي وظيفة حكومية طالما طورد ونُكل به فيها حتى انتهوا به إلى وظيفة متواضعة في مصلحة التليفونات . . وكان بيته كل ليلة ندوة أدبية مفتوحة يشدو فيها هو وضيوفه الشعراء بآخر ما نظموا ويتعاقبوا في إنشاد القديم المأثور من شعر الجاهلية وعصور الإسلام . وكان حافظ جميل كريماً بلا حساب يمد كل ليلة في بيته مائدة عامرة حافلة بالمشهيات والأطايب من الطعام والشراب من كل نوع ، وكان هو وحده ينفرد بشرب قنينة (زجاجة) عرق عراقي يُستخرج من البلح شراب قوي فتاك فيه من ماء النار شبه ولا أدري كيف كانت معدة حافظ جميل تحتمله ورأسه تصمد ولا تدور معه .

وكانت لي سهرات أخرى مع « مهدي الجواهري » شاعر العراق الفحل المخضرم ، في بيته المطل على نهر دجلة أشاركه خلوته وسياحته بعينيه عبر النهر الذي طالما حمل مركب الرشيد وخلفائه العباسيين من بعده في نزهتهم عبره ، والذي كان مسرحاً للكثير من خيال صاحب ألف ليلة وليلة ، وكان عشاءنا دائماً حاضراً وطازجاً ، من النهر إلى الفم مباشرة . فهناك شبكة منصوبة في ماء دجلة إلى جانبنا ، ونترقب صيدها ليجذبها الخادم ويسرع إلى إعداد السمك ينظفه ويشقه نصفين متصلين ويشويه على نار الحطب أمامنا في الحديقة . وهذه أكلة منتشرة على شاطىء دجلة في البيوت وفي العراء يسمونها « المسجوف » ويستخدمون معها فاتحاً للشهية مثل ثمار المانجو الصغيرة في محلول الخردل .

ولكن كبرى سهراتنا كانت في بيت مطرب العراق الفريد الذي لم يعوض « ناظم الغزالي » حيث كان يجتمع كل الفنانين بعد أن ينتهي عملهم كل ليلة في مسارح وملاهي بغداد .

* * *

وخلال النهار كنا نستمتع بمشاهدة جلسات محكمة الثورة التي يرأسها العقيد عباس المهداوي وأشهد بأنني ضحكت فيها ضحكاً لم أضحكه في حياتي حتى في مسرح عملاق المسرح الكوميدي نجيب الريحاني .

وقد سُمح لي أن التقي بالمتهمين في السجن الحربي ، وزراء ورؤساء وزراءات وأصحاب نفوذ ورأسمالية . . رأيتهم وقد هووا من شاهق ، وقد جمعهم وألف بينهم السجن ، وما كانوا ليجتمعوا أو يأتلفوا رأيت البعض منهم في ملابسه الداخلية وكنت لا أراهم إلا في الملابس الرسمية وعلى صدورهم النياشين والأوسمة . . ورأيت أمامهم طعاماً لو وُضع أمامهم وهم في عنفوان الجاه والسلطان لأبوه واستنكروه على كلابهم ، وعندما سألتهم هل لهم طلبات ؟ طلب مني بعضهم أن أتوسط لهم لدى المسؤولين ليسمحوا بزيارة أهلهم لهم ، وكانت هذه الزيارة ممنوعة

وشيئاً فشيئاً توسعت هوة الخلاف بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف خلاف الغيرة والحسد ، وبدا واضحاً أنه يسعى ويعمل للخلاص منه

وكان عليَّ أن أعود إلى القاهرة لبضعة أيام . . وذهبت إلى عبد السلام عارف آخذ منه حديثاً في مكتبه ، فصارحني بكل شيء في حزنٍ ومرارة :

- عبد الكريم قاسم لم يعد يطيقني . . ويعارضني بشدة في كل مكان وكل مجال . . وكلما أصدرت قراراً في حدود اختصاصي ينقضه ويصدر قراراً مضاداً ويا ليته يحسن القرار ويوجهه إلى النفع والخير ، بل هو يتخبط ويهذي ويهدر ويثور ، ويهدد ويتوعد كل من يعصي له أمراً بسوء المصير .

و لم لا تنصحه بحكم زمالة السلاح والمشاركة في الثورة والحكم ؟

- نصحته كثيراً ومن مكره كان يتظاهر بقبول النصح بل ويعتذر



حديث عن آمال المستقبل التي لم تتحقق مع عبد الكريم قاسم رئيس مجلس الثورة في العراق



رسالة من عبد السلام عارف لجمال عبد الناصر



مع توفيق السويدي رئيس وزراء سابق في السجن في بغداد بعد ثورة العراق

أحياناً عما بدر منه ولكنه كان يسمع بأذن ويخرج ما يسمع من الأذن الأخرى ، ويواصل غيه وضلاله

- وبقية رفاق الثورة أين هم ؟

- كلهم انطووا تحت لوائه ، بل مضوا يوقعوا بيني وبينه ويوسعون هوة الخلاف وختم حديثه بقوله

- إنني أخشى على العراق من عبد الكريم قاسم .

- ربنا يستر .

واستأذنت في الإنصراف ، ونهض عبد السلام عارف واقفاً يصافحني ويودعني قائلاً :

- ما دمت مسافر إلى القاهرة لي عندك طلب . . . أرجوك .

- بل أمرني .

- قل لعبد الناصر ياخذ باله منا .

وعدت إلى القاهرة ، وبلغت الرسالة ، وتتابعت الأحداث .

سيادة رئيس مجلس السيادة

« الفريق نجيب الربيعي » رئيس مجلس السيادة في تشكيل أول حكومة في العراق بعد ثورة جيشها في سنة ١٩٥٨

رجل مثقف واسع الإطلاع ، دمث الخلق ، متواضع ، يملأ كرسيه في أي منصب يتولاه وقد شارك في ثورة ١٩٥٨ ومن قبلها ثورة رشيد عالي الكيلاني المشهورة

واستقبلني في مكتبه استقبالاً حفياً رقيقاً ، وكأنما لاحظ دهشتي فبادر يقول لي

- إنني أمارس الكتابة وكما أعتز بزمالة السلاح أعتز أيضاً بزمالة القلم . وقبيل الثورة انتهيت من إعداد كتاب عن ثورة رشيد عالي الكيلاني التي شاركت فيها

وأمسك بدوسيه كان على المكتب أمامه وقدمه إليَّ :

- ها هو الكتاب خذه . . . وانشره على حلقات في المصور . . ولو استطعت بعد ذلك طبعه ككتاب أكون شاكراً ممنوناً ولك أن تغير في أسلوب الكتاب إذا رأيته لا يصلح للنشر مع إبقائك دائماً على جوهر الأحداث التي راعيت في سردها منتهى الصدق والأمانة

وشكرته على هديته وقلت له :



مع الفريق نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة

ـ سأقرأ المذكرات وأنا هنا في بغداد ، وإذا رأيت أي تعديلٍ سآخذ رأيك فيه قبل أن أُجريه .

وقرأت المذكرات بالفعل وأنا في بغداد ، ووجدتها صالحة للنشر كما هي ، ولما أخبرت نجيب الربيعي بذلك سر جداً وفرح فرحة من ينجح في إمتحان كان غير واثقٍ من نتيجته . . وأخذت أعد بالفعل المذكرات في حلقاتٍ لأبدأ نشرها بمجرد عودتي إلى القاهرة .

ولكن قدر لمذكرات نجيب الربيعي ألا تُنشر حتى الآن . . فقد جرت الأحداث بما لم يشتهي وما كنت أتوقع أن يحدث .

تماماً كما حدث في مصر حدد مجلس الشورى اختصاصات رئيس مجلس السيادة وتقلصت تدريجياً ، وانتهى الأمر بنجيب الربيعي إلى تنحيته تماماً كما نحي محمد نجيب في مصر كان قدر النجيبين واحداً !

* * *

ونفس المصير لاقته مذكرات عبد السلام عارف التي أملاها عليَّ عندما تغيرت الأوضاع وأصبح رئيساً للجمهورية .

والواقع الذي لم ندركه في بلادنا العربية أن مثل هذه المذكرات ملك للشعوب وليست ملكاً للحكومات ، ومن حق الشعب نشر هذه المذكرات مهما تغيرت الحكومات ، ومهما كان موقف الحكومات من صاحب هذه المذكرات . وقد بذلت جهداً كبيراً في إعداد مذكرات عبد السلام عارف وراجعت الجزء الخاص بطفولته وصباه مع أبيه الشيخ محمد عارف وهو رجل دين متعمق في الدراسة الدينية ، ولم يكتم عني مخاوفه تجاه ولده عبد السلام وأنه في أعماق قلبه لا يرتاح ولا يأمن لزمالة عبد الكريم قاسم لولده . . شعور خفي في قلب الأب الحنون المرهف الحس تحقق مع الأيام

* * *

والحقيقة أن عبد الكريم قاسم الذي وصف بأنه دموي وسفـاح كان طفلاً غراً في تصرفاته .. مثال ذلك إنني في مقابلتي له عندما زرت بغـداد عقب تصـدع الوحـدة العربيـة مع مصر تعمـدَ أن يضع خلف مكتبـه على الأرض إطاراً يحتوي صورة جمال عبد الناصر كان يعلقه من قبل خلفه على الحائط إلى جانب إطـار آخر يحتـوي صورتـه ، ولم يترك إطـار عبد النـاصر سليماً بل كسر زجاجه إلى أجزاء صغيرة . وتعمد أن يكون هذا الإطار في مكان ظاهر لكل من يدخل عليه مكتبه . وهـو لا يحسب حساب القـدر ، ولا يـدور بخلده وهو في عنفـوان السلطة والنفـوذ أن يـأتي يـوم تنـزل فيـه صورته إلى الأرض ويمزق جسده الرصاص .

في إيران :

شهدت ٣ أفراح للشاه !!

« محمد رضا بهلوي » أو « شاهبور » كما كانوا يطلقون عليه ، إمبراطور ايران الذي مات في القاهرة أثر معاناة طويلة مع المرض بعد أن أجبرته ثورة الخميني على التخلي عن عرش الطاووس الذي ورثه عن أبيه « بهلوى » واتخذ من القاهرة مقراً لمنفاه في نهاية المطاف بعد أن رفضت الولايات المتحدة الأميركية استضافته . وقد دُفن في مسجد الرفاعي في القاهرة شاهبور تزوج ثلاث مرات وقد شاهدت أفراح زيجاته الثلاثة في طهران ممثلاً لمجلات دار الهلال

وكانت الزوجة الأولى لشاهبور « الأميرة فوزية » بنت الملك فؤاد وأخت الملك فاروق . . والحقيقة أن شاهبور كان يرغب في الزواج من الأميرة فائزة الشقيقة الثانية لفوزية رآها وأُعجب بها واختارها عروساً له عندما جلس إلى أبيه يبحث معه موضوع ترشيح عروس له وتمت الإتصالات بين طهران والقاهرة لخطبة فائزة إلى شاهبور . وتمت الخطوبة وحدد موعد حفل القران والزفاف في طهران . وكنت هناك في هذا الموعد . وأعدت قاعة العرش لإقامة حفل القران في قصر المرمر المشهور الذي بُني من أفخر وأغلى أنواع المرمر في العالم والذي يروع ويذهل بأثاثه ورياشه ومراياه المذهبة ، ووقفت مع حشد من الصحفيين ومندوبي الإذاعة والتليفزيون القادمين من جميع أنحاء العالم ، وتفرق في أنحاء القاعة المدعوين من أسرة الشاه ومن الملوك ورؤساء الجمهوريات وفي الصدر

كرسي العروسين ينتظرانهما

ودخل العروسان شاهبور وفي ذراعه عروسه وصعقت إذ رأيت العروس لم تكن الأميرة فائزة التي خطبها بل كانت أختها الكبرى « فوزية » ولم تصعق المفاجأة سواي أنا والزملاء الصحفيين المصريين وبعض الصحفيين العرب الذين يعرفون الأميرتين ويفرقون بينهما ، أما باقي الزملاء الأجانب وجميع المدعوين فلم يفاجأوا بشيء وبهرهم جمال العروس وما اتخذته من ملبسٍ وزينة تليق بمن ستكون امبراطورة تجلس على عرش من أقدم عروش التاريخ وعقد القران وتم الزفاف ، وتعاقبت الحفلات والمآدب الخيالية التي تتواضع أمامها حفلات ومآدب ألف ليلة وليلة ونعمت بأكل لحم الطاووس لأول مرة في حياتي ولكن كل هذا لم يهدىء من روعي إزاء تلك المفاجأة المذهلة باستبدال العروس بشقيقتها ، ولم يشفني من الأرق الذي لازمني حتى عدت إلى القاهرة وعرفت السر الذي لم يعرفه إلا قلائل

كانت الأميرة فوزية أكبر سناً من الأميرة فائزة وإذا كانت التقاليد الشعبية المتواضعة لا تتيح زواج الأخت الصغرى قبل الأخت الكبرى ، فمن باب أولى لا يصح ولا يجوز للتقاليد الملكية أن تتيح هذا الزواج وعلى هذا شحنت الأسرة الملكية في مصر إلى طهران « الأميرة فوزية » بدلاً من أختها « الأميرة فائزة »

ولم يكن لائقاً في عرف الملوك أن ترد شحنة الأسرة الملكية المصرية ، كما لم يكن معقولاً أن تغفل أسرة الشاهنشاه ما يثيره هذا الرد من فضيحة عالمية تزلزل دعائم عرش الطاووس الامبراطوري ورؤي تغطية الموضوع وكتمان السر . . وتزوج شاهبور من الأميرة التي لم يخترها وكان طبيعياً ألا يقدر لهذا الزواج المفروض فرضاً ألا يعمر طويلاً خصوصاً وأن الملكة والدة شاهبور تكره الملكة نازلي والدة فوزية كراهية أساسها أصلاً جمال ورشاقة وأناقة نازلي وقبح وتهدل وسمنة جسم والدة الشاه بصورة تنعكس على أزيائها ، ولذلك حسدت نازلي منذ اللحظة الأولى التي

استقبلتها فيها قادمة مع ابنتها العروس وغارت منها على زوجها الامبراطور الذي لم يكن يخفي إعجابه بنازلي . وفي نفس الوقت انزرع حسد آخر واشتعلت نيران غيرة أخرى في صدر الأميرة شمس الملوك أخت شاهبور التوأم ضد فوزية لنفس الصفات التي ورثتها عن أمها الجمال والرشاقة والأناقة وكانت شمس الملوك قصيرة القامة نحيفة لا تعني كثيراً بملبسها وبسرعة سعت عقارب الحسد وامتدت ألسنة نيران الغيرة إلى الوقيعة بين شاهبور وفوزية ، ونبض قلب العروسين بالكراهية وهو لم ينبض من قبل بالحب . ولم يعش زواجهما سوى عاماً واحداً وانتهى إلى الطلاق بعد أن أثمر بنتاً .

* * *

وما كاد زواج شاهبور الأول ينقضي حتى جاء زواجه الثاني من « ثريا سفنداري » ابنة سفير إيراني . رآها في حفلة بأوروبا . ووقع في حبها من النظرة الأولى والحقيقة أنها كانت واحدة من أجمل وأرشق جميلات العالم .

وتمت الخطوبة بسرعة . . وتحدد موعد القران والزفاف . .

وذهبت إلى طهران أشهد حفل زواج شاهبور الثاني وكان أفخم وأروع من حفل الزوج الأول بتعدد الشخصيات العالمية التي حضرته من ملوك العروش وأمراء الجاه والمال وملوك الصناعة والإستثمار .

وفي نفس القاعة . . . قاعة العرش بقصر المرمر أُقيم الحفل . . . وقرأت في عيني شاهبور الفرحة . . . فرحة من يمتلك جوهرة من أغلى جواهر الدنيا . . ومن لفتاته إلى عروسه وهمساته إليها أدركت أن قصة حب . . الحب الأول . . . قد بدأت بين صاحب عرش الفرس وصاحبة عرش الجمال . . . ولكنني صُدمت وحزنت عندما قامت الملكة الوالدة ترش الملح بمساعدة « شمس الملوك » توأم شاهبور . . . وعادة رش الملح في الأفراح عادة تقليدية قديمة معروفة في بعض بلاد الشرق . . . والمقصود بها

طـرد الحسـد . . . ولكن الحسـد لم يُـطرد من قـاعـة الحفـل . . . ورأيتـه متمركزاً في عيني الـوالدة وابنتهـا شمس الملوك نفس العقدة ، عقـدة القبح وتوابعه .

وكـانت الملكة الـوالدة قـوية الشكيمـة نافـذة الكلمة وكـان زوجهـا الأمبراطور رغم شخصيته الحديدية يلين أمامها ويشركها في الحكم ، كذلك كانت شمس الملوك بالنسبة لشاهبور .

وخلال الإحتفال ترددت الإشاعات وسرت الهمسات في أروقـة قصر المـرمر . . . الملكـة الوالـدة رفضت أن تعير عـروس ابنها بعض مجـوهرات التـاج لتتحلى بهـا في العـرس ، وكـانت هـديتهـا لهـا متـواضعـة لا تليق بالمقام الملكة الوالدة ألغت الكثير من فقرات حفل الزفاف الملكة الوالدة رفضت أن يسافر ولدها مع عروسه إلى أوروبا لقضـاء شهر العسـل وطلبت منه أن يبقى إلى جانبها

وهكذا لم يطل زواج شاهبور الثاني أيضاً ، والفضـل للملكة الـولدة والأمـيرة شمس الملوك وللقدر الـذي منع العـروس من الإنجـاب فكـان الطلاق .

وخـرجت ثريـا سفنداري جميلة الجميـلات من القصر الامبراطـوري حزينة بائسة كسـيرة الخاطـر . . وتخبطت حتى قبلت عـرض أحد المنتجـين السينمائيين للإشتغال بالتمثيل في السينما مستغلاً جمالها . . وكانت تجربة قدر لها الفشل . . كان الجمال غير كافٍ للنجاح دون أن تسنده الموهبة .

* * *

ثم كان الزواج الثالث . . وقد أصبـح شاهبـور امبراطـوراً زواج شاه إيران من ابنة الشعب فرح ديبـا الزوجـة التي عمرت مـا بقي من عمره وشاركته مصيره المحزن . . والتي نجت من حسد وغيرة الملكة الوالدة بمـوتها والأمـيرة شمس الملوك بنفيها خـارج إيران رغم إرادة الشـاه بعد أن طفـح كيـل الشعب والمسؤولـين عن الحكم من تـدخلهـا في حكم البـلاد



وانصياع شقيقها لإرادتها .

وكان حفل الزفاف في قصر المرمر هذه المرة أكثر جمالاً وروعة برضاء الشاه عن اختيار عروسه وبرضاء الشعب عن هذا الإختيار . . وكانت العروس هذه المرة عادية الجمال بسيطة الحركة متواضعة الأناقة فغابت عن الحفل عين الحسد وخبت نار الغيرة .

وفي عنفوان مراسم القران وأنا واقف بين زملائي صحفيي العالم وفجأت أحسست بمغض شديد ينهش أمعائي وتدفق العرق غزيراً من جبهتي ثم مادت الأرض بي وسقطت مغشياً عليَّ . . ولم أفق إلا وأنا أجد نفسي في مستشفى القصر وحولي جمع من الأطباء ورغم أن حالتي تحسنت وآلامي ذهبت فقد كان قرار الأطباء إجراء عملية المصران الأعور لي بسرعة عاجلة ، وكانوا ينتظرون إفاقتي للحصول على موافقتي . وعارضت وأصروا . وهموا بإتخاذ الإجراءات اللازمة ، ولم ينقذني سوى مفاجأة دخول الشاه وعروسه عليَّ وهما ما زالا بملابس الزفاف . . جاءا ليطمئنا عليَّ . . وكانت لفتة من أرق وأكرم ما لقيت في حياتي الصحفية الطويلة من لفتات . وأطلع الأطباء الشاه على قرارهم باجراء الجراحة ومعارضتي وسألني الشاه :

ـ لِمَ تعارض ؟

ـ لا شيء إلا لأنني لو قدر لي الموت أن أموت في بيتي وبين أسرتي .

ـ لا قدر الله ، ولكن الأطباء يلحون في إجراء الجراحة وإستعجالها .

ـ فليمهلوني إلى الغد ما دامت حالتي تحسنت وإذا عاودني الألم سآتي إليهم بنفسي سائراً على قدمي أو محمولاً

وضحك الشاه وضحكت عروسه وقال للأطباء بالرغم منهم :

ـ ولكن فليكن هذا على مسؤوليتك .

ـ طبعاً .

وسألني الشاه :

ـ هل تريد شيئاً ؟

قالها لي كما يسألون المحكوم عليه بالإعدام :

وانتهزتها فرصة :

ـ أُريد حديثاً مع جلالتكم .

ولم يجد الشاه بداً من إجابة طلبي الذي قد يكون آخر طلب في حياتي . وحدد الحديث صباح الغد الباكر ، إذا طلع عليَّ النار وأنا حي وعشت للغد وأجريت الحديث مع الشاه . وكنت الصحفي الوحيد الذي ظفر بحديث وصورة شخصية مع الشاه في تلك المناسبة .

ولم تعاودني نوبة الآلام حتى مساء اليوم التالي . وأراد صديق لي يعمل ويعيش في طهران طمأنتي فاصطحبني إلى الدكتور محمد مصدق ابن الزعيم الإيراني مصدق الذي قاد ثورة فيما مضى ضد الامبراطور ولم يقدر لها النجاح وقد فحصني الدكتور فحصاً دقيقاً وأجرى لي صورة بالأشعة وقال لي :

ـ اطمئن ليس عندك مصران أعور . . كانت نوبة مغص قلوي وانقضت . . وإذا ما عاودتك فهذه وصفة بالدواء

شمس الملوك
توأم شاهبور

رأيتها في طهران وعرفتها في القاهرة .

« الأميرة شمس الملوك » توأم « شاهبور » شاه إيران السابق . . ويوم جاءت إلى القاهرة كنت قد رأيتها من قبل في حفل زفاف شاهبور إلى الأميرة فوزية ثم حفل زفافه إلى ثريا .

كانت « أم العروس » تروح وتغدو وتأمر وتنهي في خفة ونشاط . . جسد نحيل وقامة تميل للقصر

ثم زارت القاهرة ، ترانزيت في رحلة إلى أوروبا ونزلت بمقر سفارة إيران في القاهرة . وقال لي استاذي المرحوم فكري أباظة رئيس تحرير مجلة المصور :

ـ روح اعمل حديث معاها .

ـ كيف والعلاقات بيننا وبين طهران تتأرجح وتزداد تأرجحاً يوماً بعد يوم .

ـ ما هي حلاوة الحديث .

ـ وإذا رفضت مقابلتي ؟

ـ أنت وشطارتك .

ـ أتظن أنهم سيسمحون عندنا بنشر هذا الحديث لو نجحت في إجرائه ؟

ـ ما أعرفش

ـ وإن لم يسمحوا ؟

ـ حطه على الرف حا يجي يوم تنشره فيه

وجاء هذا اليوم اليوم

* * *

لم ترفض « شمس الملوك » مقابلتي ، بل على العكس رحبت . . وكانت ترتدي ثوباً بسيطاً طويلاً يصل إلى ما تحت الرقبة بكثير . وبادرتني بسؤال مفاجىء :

ـ ترى هل يهم قراؤك حديث معي ؟

قلت :

ـ اسمحي لي أن أكون أولاً صريحاً في سؤالك .

ـ أرجو أن تكون في غاية الصراحة . . أنا أحب الصراحة ولا أغضب منها أبداً .

ـ حسناً سأُجيب على سؤالكِ أولاً إن قرائي يهتمون جداً بمعرفة كل شيء عن شخصية قوية غير عادية مثلكِ .

ـ أنا شخصية قوية ؟! من قال لك هذا ؟

ـ سمعتهم يقولون في طهران ويرددون عنكِ حكايات كثيرة .

ـ سمعت من ؟

ـ الناس . . كل الناس .

ـ ماذا يقولون ؟

ـ إنكِ تحركين المسؤولين عن الحكم من وراء ستار .

وضحكت ساخرة وقالت :

ـ هكذا يقولون . . يتهمونني ظلماً إنني لا أتدخل في الحكم . . فقط أبدي نصيحة . . وقد يؤخذ بها أو لا يؤخذ .

ـ معنى هـذا أن لك بـاعاً وخـبرة في شؤون الحكم ، فمن أين لـكِ هذا الباع وتلك الخبرة ؟

ـ كنت قريبة دائماً من أبي الامبراطور فنشأت وأنا أسمع وأرى كيف يلعبون اللعبة

ـ أي لعبة ؟

ـ لعبة السياسة .

ـ السياسة لعبة ؟

ـ مسلية جداً أشبه بالشطرنج كل لاعب يزيح من أمامه ما يضعه خصمه أمامه من عقبات وعراقيل حتى يخلو له الطريق تماماً فيصبح الخصم في « كش ملك » ويعلن انتصاره عليه

ـ وهل تكسبين اللعبة دائماً ؟

ـ أنا لا ألعب بل إنني أشبه بالمدرب في لعبة كرة القدم أدرب اللاعبين وأعدهم لخوض المباراة فإذا جاءت المباراة اتخذ لنفسي موضع المشاهدة والمراقبة

ـ يقولون إنكِ تتدخلين في كل كبيرة وصغيرة ؟

ـ لأنني أؤمن بالحكمة المأثورة « معظم النار من مستصغر الشرر »

ـ وماذا يفعل الفشل بك ؟

ـ يشحذ عزيمتي للمحاولة من جديد .

ـ يقولون إنكِ تلازمين الشاه طول الوقت ليل نهار ؟

ـ أنسيت إننا توأم وأننا عشنا متلازمين قبل أن نخرج إلى الدنيا

ـ هل صحيح أن إهتمامك الزائد والدائم بحياتكِ العامة كان سبباً في فشل حياتكِ الخاصة ؟

ـ لا يهم فالحياة العامة أشهى وأطيب وأنفع وأبقى من الحياة الخاصة .

ـ ولكنكِ تتدخلين في حياة الشاه الخاصة . بصراحة ينسبون إليكِ أنك كنتِ وراء طلاق الامبراطورة فوزية من الشاه أنت والملكة الوالدة ؟

ـ هذا صحيح . . لأن زواجهما كان خطأ وكل خطأ ينبغي تصحيحه ، وواجبنا : على كل من شارك في الخطأ أن يشترك في

تصحيحه   وقد شاركنا أنا ووالدتي في زواج فوزية من أخي

ـ وما الذي غيّر رأيكما فيها ؟

ـ هذه حكاية لا أظنهم يسمحون بنشرها عندكم .

ـ لماذا لا تهبين الخدمة الإجتماعية شيئاً من طاقتك التي تؤثرين بها اللعبة السياسية ؟

ـ للأسف إن الخدمة الإجتماعية في بلادنا الشرقية التي تختص بها سيدات مجتمعنا إنما هي وسيلتهن لتمضية وقت الفراغ والإعلان عن أنفسهن ، وأنا لا أقبل لنفسي شيئاً من هذا

ـ قد تكسبك الخدمة الإجتماعية شعبية تفتقدينها في اللعبة السياسية

ـ أود لو كسبت هذه الشعبية في اللعبة السياسية   سأحاول ، ولو طالت المحاولة

ـ ولماذا تطول ؟

ـ مصلحة البلاد العليا   هذه ألف باء السياسة .

ـ في أبجدية مكيافيللي

ـ لقد جررتني في حديث السياسة إلى بعيد .

ـ وهل تملين الحديث عن لعبتك ؟

ـ أفضل الممارسة .

ـ إيران في نظركِ ؟

ـ بلد يضع تاريخه وتقاليده أمام عينيه دائماً .

ـ ومصر ؟

ـ بلد أدار ظهره لتاريخه وتقاليده .

ـ فِيمَ يلتقي البلدان ؟

ـ في حضارة آلاف السنين .

ـ وفيما يختلفان ؟

ـ ليس بينهما اختلاف فـ ّ ـتاهما في الهم شرق

ـ فلننتقل إلى الحديث عن شخصـكِ . . ما رأيـكِ في الأميرة شمس الملوك ؟

ـ إمرأة شرقية تحاول أن تجد لها مكاناً إلى جانب المرأة الغربية

ـ عُرف عنكِ بساطة الملبس والزينة

ـ أليس هـذا خـيراً من أن تعـرف عني بهـرجـة الملبس والمغـالاة في التزين !

ـ هل تمارسين رياضة بدنية ؟

ـ نعم . التنس . . فلا بد لمن يمارس لعبة السيـاسة أن يُمـارس لعبة رياضية لشحذ روح النزال والسعي للفوز على الخصم بداخله .

ـ والفن ؟

ـ أحب السيرك .

ـ لأن فيه نزال وصراع ؟

ـ ووحوش أيضاً

درس تلقيته عن أبيك الامبراطور ؟

ـ العفو عند المقدرة . . كان دائماً يعفو عن خصومه .

ـ ووالدتكِ ؟

الأمومة التي لا تعرف التدليل ولا تغرق في الحنان .

ـ ما رأيكِ في « ثريا سفنداري » زوجة أخيك الحالية ؟

ـ أخي يحبها

ـ وأنتِ ؟

ـ المهم أخي .

ـ وتجربتكِ أنتِ في الزواج ؟

ـ ما زالت في دور التجربة .

ـ ما كنت أتوقع هذه الإجابة من أميرة ؟

ـ أجبتك كزوجة لا أميرة .

ـ قد تغضب هذه الإجابة زوجك ؟

ـ سيفيد هذا التجربة . هل عندك ما تسألني عنه ؟

ـ لا وأنتِ هل تريدين إضافة شيء ؟

ـ سأترك لك الإضافة إذا شئت ، بشرط ألا تخرجني من الإطار الذي وضعت فيه نفسي في حديثي معك .

في ليبيا :

لماذا قتل شقيق الملكة رئيس الديوان ؟

مصرع رئيس الديوان الملكي في ليبيا   القاتل شقيق الملكة

هذا هو الخبر المذهل كما تناقلته وكالات الأنباء . . وكان « الشلحي » القتيل رئيس ديوان السنوسي ملك ليبيا . . وكان يتمتع بالحظوة والثقة الكاملتين عند الملك كما كان معروفاً لدى الشعب الليبي بقوة النفوذ ونفاذ الكلمة عند الشعب .

وطرت إلى « بنغازي » انعاصمة الثانية لليبيا لأجري تحقيقاً صحفياً عن الحادث وكل ما ظفرت به من السلطات الليبية الرسمية أن الحادث وراءه دوافع سياسية ، إذ أن القاتل وهو شاب في مطلع الشباب ينتمي إلى حزب سياسي وطني يناهض نظام الحكم ويهاجم مثالبه وينتقد تصرفات ونظم الحكم ومظالم الحكام .

كان نفوذ الشلحي رئيس الديوان قد استشرى بعد أن أطلق الملك يده في إدارة شؤون القصر وأملاك الملك وأمواله وجعله مستشاره الأول والأخير في ادارة شؤون الحكم ، ومرجعه في تعيين وإقالة الوزراء والحكام ومدبره في إقامة العلاقات الخارجية ما بين ليبيا والدول الخارجية وكان هذا كله يثير غضبة نارية يكتمها الشعب الليبي ويكبتها داخله ، خوفاً من بطش رئيس الديوان واتقاء غضبه



مع الملك السنوسي ملك ليبيا السابق

وذهبـوا بي للقـاء الملك السنـوسي ، حيث كـان معتكفـاً في إحـدى ثكنات الجيش في برقة حداداً عـلى رئيس ديوانـه واستقبلني الملك حزينـاً شبه باكٍ ، وقـدمت له العـزاء ولم يرد بكلمـة ودامت المقابلة نصف سـاعة كنتُ أنا المتحدث خـلالها وحـدي فقد كـان الملك السنوسي يـرفض الأحـاديث الصحفية مـواجهـة ويؤثـر أن يتلقى أسئلة الصحفيـين مكتـوبـة ويـرد عليها معـاونوه كتـابة أو يـتركون للصحفي مقـدمها مهمـة الرد ، ثم يـراجعون هـذا الرد ويؤشرون عليـه بالإذن بنشره بعـد أن يعدلـون فيه أو يضيفون إذا ما أرادوا التعديل أو راقت لهم الإضافة .

وهذه المرة توليت أنا الرد على أسئلتي وحظيت بالتأشيرة بالإذن بنشره دون أي إضافة أو تعديل .

وسمحـوا لي بلقاء القـاتل في سجنـه .ورأيت شـابـاً في العشرين من عمـره ، وسيماً ، نحيف القـامة ، تشع من عينيـه القـوة والثقـة بـالنفس والذكاء . ورغم أنني سألته عشرات الأسئلة فلم يرد على سؤالٍ واحد منها وأطبق شفتيه عن الكلام . وسألت مأمور السجن :

ـ هل صمت أيضاً في التحقيق ؟

ـ لا تكلم واعترف اعترافاً كاملاً .

وقلت للشاب المتهم :

ـ ما دمت اعترفت في التحقيق فلماذا لا تجيب على أسئلتي ؟

ولم يرد . وخرجت من عنـده وأنا آسف حـزين لفشلي في استـطلاع سر الجريمة على لسان المتهم بها .

وكان مقدراً لي أن أعود حاملاً هذا الأسف مفعماً بذلك الحزن لو لم أعلم أن وكيل النيابة الذي يتولى التحقيق شاباً ليبياً كان زميلاً لي في كليـة الحقوق بجامعة القاهرة وربطتني به صداقة وطيدة . وكنت أعـرف أنه غـير راضٍ عن الأوضـاع في بلاده غـير أنه يكبت إنفعـالـه في صـدره ويـدخـر

وذهبت إليه أنبئه بما فعلت وأشكو له خيبة أملي في حديثٍ مع المتهم فقال لي

ـ لا عليك ستظفر الحديث الذي تريده . غداً سأستدعي المتهم إلى مكتبي وأُتيح لك فرصة الحديث معه .. بحضوري طبعاً ولكني سأكون أذناً من طين وأذناً من عجين .

ـ لا أر د أن أسبب لك حرجاً !

ـ لا تخف عليَّ .

ـ قالوا لي إنه اعترف اعترافاً كاملاً ؟

ـ في محضر البوليس .. إعتراف بالإكراه طبعاً

ـ وفي محضرك .. محضر النيابة ؟

ـ إلتزم الصمت .

ـ أتظنه سيقول لي شيئاً ؟

ـ أنت وشطارتك .

وفي صباح اليوم التالي كنت في مكتب الصديق وكيل النيابة .. وخلوت إلى المتهم الشاب في ركنٍ من الغرفة الواسعة .. وجلس وكيل النيابة في ركن آخر بعيد يقلب بعض ملفاته ، وهو لا يسمع ما يدور بيني وبين المتهم من حديثٍ استطعت بعد جهدٍ أن أجره إليه :

ـ حدثني عن هذا الحزب السياسي الذي تنتمي إليه

ـ أنا لا أنتمي لأي حزب .

والمبادىء الوطنية التي دفعتك إلى الجريمة ؟

ـ لم تدفعني إلى الجريمة مبادىء وطنية ، بل مبادىء أُسرية .

ـ مبادىء أسرية ؟

ـ نعم الأمر يتعلق بأختي الملكـة كان الشلحي يـريد تـزويج الملك من سيدة ثرية طمعاًفي أن يستفيد من أموال هذه السيدة إذا مـا أتم صفقة زواجها من الملك . وأسوأ ما في الأمر أن الشلحي استـطاع أن يقنع الملك بتطليق الملكة حتى ينقل اللقب إلى العروس الجديدة

ـ ألهذا الحد يصل تأثيره على الملك ؟!

ـ وأكثر .

ـ ومن هنا كانت نقمتك عليه ، وكانت الجريمة ؟

ـ ماذا تفعل لو كنت مكاني ؟

ـ أهكذا يبلغ بك حبك لأختك أن تفتديها بحياتك ؟

ـ نعم وهذا ما ينبعي على كل أخٍ تجاه أخته وأخيه .

ـ هل تنتظر أن يحكموا عليك بالإعدام ؟

ـ فليحكموا بما شاؤوا لا يهم ما دمت قـد أديت واجبي وأرحت ضميري

* * *

ها هو سر الجريمة . . جريمة مصرع رئيس ديـوان ليبيا « الشلحي » الـذي يذ.ع لأول مـرة في هذا الكتـاب ولا أدري ماذا كـان مصير القـاتـل الشاب شقيق الملكة . . هل أُعدم ؟ هـل سُجن ؟ هل أُطلق سراحـه ؟ لا أحد يعلم !

في السودان :

حديث رئيس الجمهورية الذي لم يتم !

تولى رئاسة جمهورية السودان الأولى« الفريق عبود »

وهـو رجل عسكـري صارم أي ملتزم بـالصفة العسكـريـة في جميـع حركاتـه وسكناتـه في كل شيء إذا استقبلك ومـد يده يصـافحك فـإنه يقبض على يدك بأصابع من حديد . وهو مقـلٍ في حديثـه يستخدم أقصر جمل مفيدة ووقته كله في مكتبه لعمله . وكـان يمنع الـزيارات الشخصيـة له ، وحتى الزيارات العائلية ، لا يفتح بابه إلا لمعاونيه في العمل يعرضون أوراقهم ويحظون بتأشيرة الموافقة أو الرفض وهم واقفين أمامه ثم يستديـروا خارجين في الحال ولا كلمة زيادة .

وكـانت مكالمـاته التليفـونية أيضـاً مختصرة إن لم أقل مخـتزلة وكـان القصر الجمهوري في عهده أشبه ما يكـون بثكنة عسكـرية يسـودها الـنظام ويحكمها الضبط والربط ، وخلية نحل لا تهدأ ولا تكل . ويوم ذهبتُ إليه في مكتبـه لحديثٍ صحفي في زيـارتي للسودن ، استبقـاني إلى جـانبـه حتى ينجـز أعمال يـومه ويتفـرغ لي . . وقُدر لـه ألا يفرغ من أعـماله إلا حـوالي الثالثة بعد الظهر ، وإلتفت إليّ يقول :

ـ أنا مستعد الآن لحديثك

وأعددت نفسي لأبدأ الحديث وإذا بالفريق عبود يفاجئني

ـ ليس هنا ... ستركب معي في سيارتي ونجري الحديث في الطريق إلى البيت .

وانطلقت بنا السيارة ، وبدأت أوجه أسئلتي إلى رئيس الجمهورية ولكننا وصلنا إلى بيت الرئيس قبل أن أفرغ من أسئلتي وفاجأني بقوله :

ـ لا بأس سنكمل الحديث على المائدة .. أنت اليوم ضيفي على الغداء .

جلسنا على مائدة الغداء .. ووجدت نفسي أقبل بشهية لا يمكن صدها على الأطباق السودانية الحافلة بالتوابل الحراقة ... وسر الرئيس السوداني إقبالي على طعامه ، فلما أشرتُ باستكمال الحديث الصحفي قال لي

ـ ليس الآن حتى لا تفسد شهيتنا إلى الطعام ... خليه للشاي بعد الغداء

وانتهى الغداء وتركنا غرفة الطعام إلى الصالون ، واسترخينا على مقعدين متقابلين في أحد الأركان ، وجاؤوا بالشاي . وأخرجت أوراق الحديث الصحفي من جيبي وشرّعت قلمي من غمده واستأذنت الرئيس عبود أن أواصل أسئلتي فابتسم وقال لي :

ـ ليس الآن .

ـ لقد وعدتني .

ـ ولكنني أراك متعباً وفي حاجة لإغفاءة .

ـ وبقية الحديث ؟

ـ فلنرجئها إلى صباح الغد .

ـ أين ؟

ـ في مكتبي بالرئاسة .

ـ عفواً إن وقتك بالرئاسة لا يسمح

ـ سأبدأ بالحديث قبل أن أبدأ عملي .

ـ واتفقنا على موعد اللقاء صباح الغد في الرئاسة .

* * *

وكنت في الرئاسة في موعد اللقاء

ولكن الرئيس عبود لم يكن هناك .

فقد حدث إنقلاب ولم يعد الفريق عبود رئيساً للجمهورية .

وبقي الحديث في جيبي . . . الحديث الذي لم يتم !

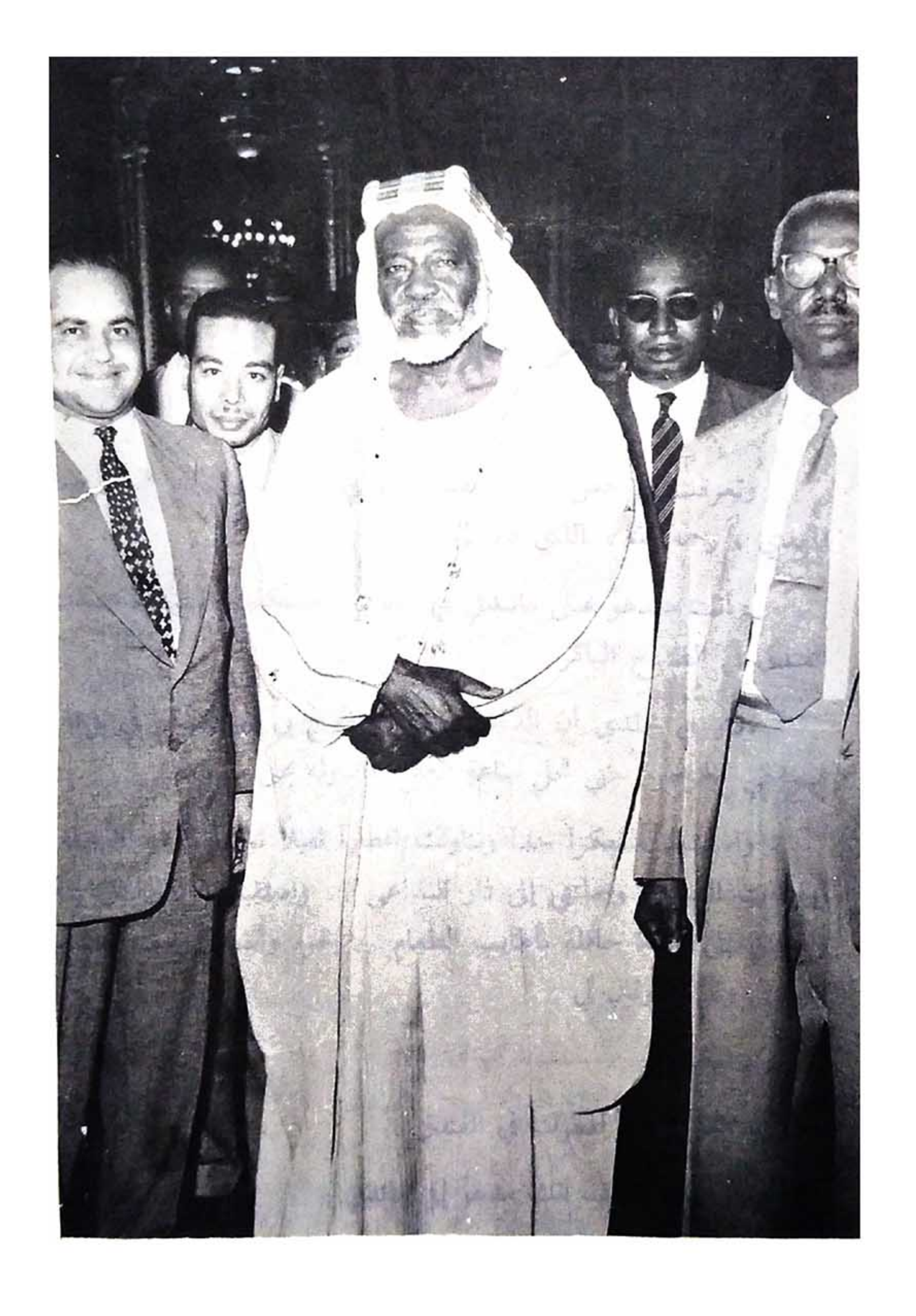
الطقم الذهبي
في قصر المهدي

في نهاية الأربعينات أول زيارة لي للسودان ، وبدعوة من المغفور له « السيد عبد الرحمن المهدي » زعيم المهدية لتناول الشاي في حديقة قصره الكبير بالخرطوم بعد ظهر يومٍ من أيام الشتاء الدافئة قبل أن أذهب تلبية لدعوة الزعيم الكبير قالوا لي

ـ السيد عبد الرحمن يقدم الشاي لضيوفه في ،فداح وصحون مختلفة ، إما من الذهب للملوك والأمراء ، أو من الفضة لأصحاب الألقاب والحكام أو من الصيني للناس العاديين من غير أصحاب التيجان والنفوذ

وذهبت إلى القصر ودخلت الحديقة حديقة كبيرة غناء نموذجية ، دائمة الخضرة، دائمة الأزهار، وتستقبلك بفوح عطر أزهارها من بعيد . وكان السيد عبد الرحمن على الباب يستقبلني . . واصطحبني إلى كشك الشاي وسط الحديقة وبهت عندما رأيت على المائدة الطقم الذهبي

وتناولت الشاي مع زعيم المهدية وتناولنا الحديث حديثاً ذو شجون في شتى المجالات بما يشهد للرجل بإطلاع واسع وحكنة ودراية في مختلف الشؤون لم يكن رحمه الله رجل دين متعصب فقط ، بل وكان أيضاً رجل عصر متحرر .



مع السيد عبد الرحمن المهدي

العزومة إفطار !!

وتعرفت في حفل الشاي بقصر المهدي على ولده الأكبر السيد صديق المهدي ، رحمه الله ، الذي قال لي :

ـ أنت مدعوٌ على مائدتي في الغد . . وستكون السيارة عندك في الفندق في الصباح الباكر .

ودار في خلدي أن الداعي يريد أن يخرج بي في الصباح في نزهة إلى ضواحي الخرطوم حتى تحل ساعة الغداء فأتناوله على مائدته .

واستيقظت مبكراً جداً وتناولت افطاراً ثقيلاً توقعاً لمشقة الرحلة . . وجاءت السيارة وحملتني إلى دار الداعي واستقبلني في حفاوة بالغة واقتادني إلى مائدة حافلة بأطايب الطعام لحوم وأسماك وخضر ومشهيات وحلوى وفواكه وقال لي :

ـ تفضل .

ـ معذرة لقد أفطرت في الفندق :

ـ ولكنك تعرف أنك مدعوٌ إلى مائدتي .

ـ مائدة الغداء أليس كذلك ؟

ـ بل مائدة الإفطار . . إنه وجبة رئيسية عندنا ونوجه إليه الدعوة .

ـ يا خسارة ضاعت عليَّ لم أكن أعرف .

وضحك السيد صديق ، وألح عليَّ في تناول أطراف طعامه الشهي وجاهدت لازدرد بضع لقيمات صغيرة .

ودار الحديث بيننا وتناول مائدة الشاي في قصر أبيه بالأمس . وأبديت تقديري وإمتناني إذا خصني السيد عبد الرحمن بالطقم الذهبي . . طقم الملوك وابتسم الصديق وقال لي :

ـ أنسيت أنك تمثل صاحبة الجلالة . . . الصحافة !

سباق الماراثون في الجزيرة

ودعيت مع بعض الزملاء الصحفيين لقضاء يوم كامل في جزيرة « أبا » الجزيرة التي أحالها عبد الرحمن المهدي إلى مزرعة قطن تجود بأحسن أنواعه ، على أن يكون ذهابنا وعودتنا في مراكب بخارية عبر النيل .

وذهبنا في الصباح الباكر .

وقضينا يوماً ممتعاً حافلاً في ضيافة عبد الرحمن المهدي حتى حل الليل فاستأذناه في العودة وفي طريقنا إلى مرسى المركب مخترقين الزرع والأشجار ننعم برياضة ممتعة في ضوء القمر الذي كان في نصف تكوينه شعرنا بحركة وراءنا وأدركنا أن هناك من يتبعنا مخترقاً الزرع والتفتنا خلفنا ففوجئنا مفاجأة مرعبة كان الذي يتبعنا ثعبان ضخم طويل من النوع الذي يسمونه « الأصلة » والذي تصنع من جلده أحذية وحقائب السيدات .

وأسرعنا نعدو بكل قوانا وبأقصى سرعة والثعبان يزحف وراءنا . . وأدركتنا رحمة الله فاستطعنا أن نسبقه ونصل إلى المركب سالمين فائزين فوز المتسابقين في سباق الماراثون الدولي المعروف ، لا بكأس الجري فقط بل بما هو أثمن وأهم . . الحياة .

وبعد يومين فوجئنا مفاجأة لطيفة . . جاءنا أحد رجال المهدي يحمل لنا هدية . . جلد الثعبان الذي هاجمنا . . فقد علم المهدي بحكايتنا وكلف الحراس بمطاردته واصطياده .

سيارة وبيت ومستشفى
تحت أمر صاحبة الجلالة

كلما زرت الخرطوم كان محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق يضع تحت تصرفي سيارة ومائدة مفتوحة في بيته وكان صهره الدكتور عبد الحليم وزير الصحة السابق يضع تحت تصرفي مستشفاه الكبير ويقولان لي

- السيارة والبيت والمستشفى تحت أمر صاحبة الجلالة الصحافة.

وكنت أشكرهما جزيل الشكر باسم صاحبة الجلالة ولكنني كنت أجد صعوبة في استخدام سيارة محجوب لأن السير وقتئذٍ كان على اليسار بدل اليمين كما هو الحال في لندن . ولأن معظم شوارع الخرطوم وميادينها كانت خالية من رجال المرور وعليك أن تنظم مرورك بنفسك وربنا يستر . . كما أنني كنت أجد صعوبة في الإقبال على مائدة المحجوب المفتوحة لأن الطبق الرئيسي فيها والمفضل المحبوب في السودان « الكسر والملاح » بامية مطهية بالتوابل والشطة ومعها خبز خفيف كالرقاقة هو الكسر سهل المضغ بحيث يضاعف شهيته في أكل الملاح . ولذلك نادراً ما كنت أغامر بالإقبال على مائدة محجوب المفتوحة

أما مستشفى الدكتور عبد الحليم فنادراً أيضاً ما كنت أتردد عليها ، وذلك في الحالات القليلة النادرة التي كنت أغامر فيها بالإقبال على مائدة محجوب .

* * *

وكان محجوب لطيفاً فكهاً جذاب الحديث . . حدث أنه جاء إلى القاهرة مرة وأردت رد جميله فعرض عليه أن أضع سيارتي تحت تصرفه خلال مدة إقامته بالقاهرة ، فرفض وقال لي :

- عايزهم يقولوا إنك جبت سواق جديد !!

نشرة الميرغني
و
نشرة فكري أباظة

في زيارة وفد الهلال الذي كان يضمني مع الاستاذين إميل زيدان وفكري أباظة ذهبنا لزيارة « السيد علي الميرغني » زعيم الختمية الراحل ووالد السيد أحمد الميرغني رئيس مجلس السيادة بعد قيام الجيش بالثورة على « النميري » رئيس الجمهورية السابق .

ووجدنا السيد علي الميرغني يقيم في بيتٍ كبير ، ولكنه بيت متواضع . وكان في انتظارنا في قاعة استقبال الزوار ، ورأيناها بسيطة الأثاث والضوء فيها خافت مريح للبصر ومهدىء للأعصاب ، وشربنا القهوة في فناجين عادية . . ومنذ وصولنا ران الصمت الشامل المكان فترة ، ولم يستطع فكري أباظة تحمل هذا الصمت طويلاً فقطعه بحديث عن الطقس وانطلق حتى سرد نشرة جوية كاملة عن طقس السودان وقارنه بالطقس في القاهرة . . كل هذا ومضيفنا ملتزم الصمت . وفكري أباظة يتساءل عن سر هذا الصمت .

وبعد أن انتهى فكري أباظة من نشرته الجوية بدأ السيد علي الحديث في السياسة العربية ، ثم السياسة الدولية ، وهو يقارن بين جو الطقس وجو السياسة في الهدوء والتقلب والصحو والغيم .

وكان فكري أباظة وإميل زيدان وأنا معهما نتـابع حـديث الميرغني في شغفٍ وكلنا آذان صاغية ، حتى إذا ما انتهى منـه لم يتمالـك فكري أبـاظة نفسه أن يسأل محدثنا عن سر صمته في بداية جلستنا وكان رده

ـ هذه آداب الحديث في عـرفي . استمع لجليسـك أولاً حتى يأتي بما عنا.ه ثم إبدأ حديثك .

سوكارنو يبحث عن الشيخ محمد

« سوكارنو » هو محرر اندونيسيا ورئيس جمهوريتها السابق الراحل . ونعرف الكثير عنه في عالمنا العربي كمجاهد في سبيل استقلال بلاده ثم كعضو بارز في حركة عدم الإنحياز .

و« الشيخ محمد » رجل صالح ضرير يحفظ القرآن ونذر حياته لعبادة الله وفعل الخير . وكان يسكن داراً صغيرة في حي الحسين من ثلاثة طوابق ، يعيش في الطابق الأسفل ، ويعتمد في معاشه على ربح الطابقين الآخرين ودكانين .

وكنتُ في السفارة الأندونيسية بحي جاردن سيتي بالقاهرة في إستقبال سوكارنو في زيارة له لمصر . وبعد أن انتهى الاستقبال وأخذ المستقبلون ينصرفون استبقاني سوكارنو وقال لي هامساً :

ـ أريدك في مهمة خاصة نذهب إليها معاً بصفة شخصية .

ـ تحت أمرك .

ـ أريد أن تذهب بي إلى الشيخ محمد .

ـ الشيخ محمد ؟

ـ نعم . . رجل صالح يسكن في حي الحسين ، ومعي عنوانه .



ـ عفواً . . ما سبب هذه الزيارة ؟

ـ ستعرفه عندما نصل إليه .

وذهبنا سراً إلى بيت الشيخ محمد فى الحي الأثري القديم الذي يعبق بالبخور والطيب وتردد جدرانه الصلوات والدعوات التي تُقام في المشهد الحسيني

واستقبلنا الشيخ محمد مرحباً رجل ضرير أبيض البشرة ضخم الجثة ملتحٍ يرتدي ثوباً أبيضاً فضفاضاً ويضع على رأسه عمامة . . ودار بينه وبين سوكارنو الحديث التالي ، الذي كنت ترجمانه ، وبدأه الشيخ محمد

ـ مرحباً بالرئيس سوكارنو في بيته المتواضع إنني أعرفك جيداً

ـ كيف ونحن لم نلتقِ من قبل ؟

ـ أعرفك من حديث الشباب الأندونيسي الذين يدرسون في الأزهر .

ـ جئتك من أجل هؤلاء الشباب الذين أوليتهم رعايتك وساندتهم بروحك وبمالك خلال دراستهم في الأزهر . . . كنت أباهم جميعاً

ـ لم أفعل سوى الواجب .

ـ أسمح لي أن أقدم لك مبلغاً متواضعاً من المال .

وأخرج سوكارنو من جيبه مظروفاً متخماً بالدولارات قدمه للشيخ محمد ، فسأله :

ـ ما هذا ؟

ـ رداً لبعض دينك على هؤلاء الطلاب .

ـ أنا لا أدينهم بشيء . . . وهل يدين الأب أبناءه ؟

ورفض قبول المبلغ

وألح سوكارنو وأصر الشيخ على رفضه .

وفي النهاية قال سوكارنو للشيخ محمد :

- - إذن إسمح لي على الأقل أن أدعوك لزيارة أندونيسيا والنـزول في ضيافتي .

- ولِمَ هذه الزيارة ؟

- لترى أندونيسيا

- رأيتها من قبل بعيون شبابها طلبة البعوث .

واعتذر الشيخ عن قبول الدعوة ، وخرجنا من عنده وعينا سوكـارنو تدمعان وهو يردد :

- لن أنسى هذا الرجل العظيم ما حييت

في قبرص :

موعد في الآخرة

في الخمسينات زار القاهرة « الأسقف مكاريوس » رئيس جمهورية قبرص ، ولم أرَ في حياتي رجل دين في مثل جمال ورشاقة ووسامة وأناقة هذا الرجل كما لم أقابل طول رحلتي الطويلة مع الصحافة رجل سياسة في مثل ذكاء وفطنة ولباقة ودبلوماسية مكاريوس .

والشيء البارز الملفت للنظر في « الأسقف مكاريوس » هو عيناه الجميلتين ، ومن هاتين العينين يشع بريق ساحر اخاذ وفيهما مغناطيسية جاذبة لا تقاوم ولا تُقهر .

سمعت عن هذا كله قبل أن ألتقي به وسمعت أن الجنس اللطيف في قبرص مغرم بالرجل ، ويتزاحمن على حضور صلاته ومشاهدة إجتماعاته وندواته . وأي إنتخابات واستفتاءات شعبية تكون أغلبية الأصوات فيها للجنس اللطيف . وقلت في نفسي : « لهن حق »عندما قابلته في كنيسة الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة حيث أقام في زيارته للقاهرة . وفي الصلاة التي أقامها رأيت تزاحم الجنس اللطيف حوله وسعيهن بمشقة لرؤيته« وكان الإتفاق أن أصعد معه بعد هذه الصلاة إلى مكتبه في الكنيسة لأجري معه حديثاً للمصور .

ونحن نصعد إلى المكتب رأيت فتاة شابة جميلة من الجالية اليونانية تقترب منه وتدس في يده ورقة مطوية وأبقى مكاريوس الورقة في يده حتى صعدنا وجلسنا في المكتب ففض هذه الورقة وما أن قرأها حتى قهقه ضاحكاً وقبل أن أسأله لماذا يضحك وماذا قرأ في الورقة قال لي :

ـ هذه رسالة من الفتاة التي دست الورقة في يدي   باليونانية وسأترجمها لك

وترجم الرسالة إلى اللغة الإنكيزية التي كنا نتحدث بها

ـ « أيها الأب المقدس   أرجو أن تسمح لي بمقابلتك للأهمية . . سأنتظرك الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم على باب الكنيسة »

وضحكت بدوري وقلت

ـ ما أجرأ هذه الفتاة !

وسألته مداعباً

ـ هل ستقابلها ؟

فأجابني ضاحكاً

ـ لا   ولكنني سأرد عليها وأقول « موافق على مقابلتك » ولكن أرجو تأجيل الميعاد إلى يوم القيامة »

وبدأت الحديث معه .

وجانبٌ من هذا الحديث لم يُنشر في حينه وأنشره اليوم . سألته

ـ ما رأيك في الجنس اللطيف ؟

وابتسم ابتسامة ساحرة وأجاب

ـ لطيف !

قلت :

ـ ماذا تكون الدنيا لو خلت من الجنس اللطيف ؟

ورد على الفور :

ـ جنة من غير نار !



ع الأسقف مكاريوس في كاتدرائية الأرمن الأرثوذكس عند زيارته للقاهرة سنة ١٩٥٨

في سوريا :

حديث مع شكري القوتلي عالماشي

قبيل الوحدة مع سوريا كنت في دمشق صحبة استاذي فكري أباظة وإميل زيدان أحد صاحبي دار الهلال ، يرحمهما الله . وعندما دعانا شكري القوتلي رئيس الجمهورية للعشاء على مائدته كنت أتطلع إلى عشاء شهي دسم حافل بالأطباق السورية المشهورة ، ولم تخطر ببالي المفاجأة التي أعدها لنا القوتلي

كانت المائدة حافلة فعلاً بالأطباق . . ولكنها كلها أطباق مصرية . حتى الفول المدمس والطعمية كان لهما مكانهما . . وهمس فكرى أباظة في إذني وهو يشير إلى الفول والطعمية :

ـ ورانا . . ورانا .

وقال لنا مضيفنا :

ـ الأكل كله مصري . . أنا حققت الوحدة في مطبخي الطباخ ومساعده مصريين .

وعلق فكري أباظة بلسانه الجريء الظريف :

ـ ولكن فات هذا الطباخ المصري أن يكون هناك أيضاً أطباق سورية إلى جانب الأطباق المصرية لإستكمال شكل الوحدة .

وكان حديث المائدة كله عن الوحدة المرتقبة بين مصر وسوريا ، والآمال المعلقة عليها حتى تمتد وتشمل البلاد العربية كلها وقد نشرت هذا الحديث في مجلة المصور في حينه وأنا أقصر موضوعات هذ الكتاب على ما لم يُنشر من قبل .

* * *

وبعد العشاء دعا القوتلي فكري أباظة إلى مباراة في الطاولة ـ ويسمونها في سوريا ولبنان طاولة الزهر ـ وتحداه أن يغلبه هذه المرة ، فقد سبق أن غلبه في زيارة سابقة لفكري أباظة لدمشق وضحك فكري أباظة وقال للقوتلي :

ـ إطمئن . . المرة الماضية لم أكن ضيفاً على مائدتك . . ولم نكن على أبواب الوحدة

ومضت المباراة في الطاولة بين الزعيم السوري الكبير والصحفي المصري العملاق . . وجاءت النتيجة في النهاية بالتعادل . وهتف إميل زيدان :

ـ الحمدلله الوحدة بخير !!

وانصرفنا في نهاية السهرة على موعدٍ بين الرئيس القوتلي وبيني في الغد لحديث للمصور .

* * *

وذهبت إلى موعدي في الصباح الباكر من اليوم التالي إلى بيت القوتلي . وكان في انتظاري في الشرفة المطلة على الحديقة وما أن صافحته حتى جذبني من ذراعي إلى الحديقة وقال لي

ـ فلنجعل حديثنا في الحديقة في الهواء الطلق بين الأزهار والأطيار .

نعم ، الأطيار لا الطيور . . هكذا سمعتهم يقولون في أغنية بالإذاعة ولا أعلم إن كانت التسمية صحيحة أم لا والأمر يحتاج إلى مراجعة المجمع اللغوي

ومضينا نمشي في طرقات الحديقة الكبيرة الغناء الجميلة وقال لي القوتلي :

ـ سنتحدث ونحن ماشيين . . . سمه حديث عالماشي . . لا تخف . . سنمشي وعندما يدركنا التعب سيكون الشاي في انتظارنا

قلت ضاحكاً :

ـ ماشي .

وضحك القوتلي وسألني :

ـ فيم سيكون الحديث ؟

قلت :

ـ أود أن أقول أولاً إن حديثنا هذا الصباح ليس للنشر ، بل لمذكراتي الخاصة .

ـ جميل . طمأنتني ، ولكن ماذا ستنشر إذن ؟

ـ حديث المائدة ليلة أمس .

ـ بالهناء والشفاء لقرائك .

ـ فليغفر لي فخامتكم صراحتي في حديث اليوم ، إن لم أقل جرأتي .

ـ بل أرحب بهذه الصراحة ، وأعدك أن أُجيبك بمثلها . هاتِ ما عندك من أسئلة .

ـ هذه الوحدة بيننا هل تأمل لها خيراً؟

ـ كل الخير . في قلبي وفكري ولكن الأمل شيء والواقع شيء

آخر . . إنني أخاف على هذه الوحدة من أنفسنا مثلما خفت على الجامعة العربية في بدء إنشائها

ـ عَلامَ الخوف ؟

ـ من الواقع الذي جربناه كثيراً نحن العرب ، إننا لا نجتمع إلا لنفترق . وعندك الأمثلة كثيرة ومؤسفة في إجتماعات الجامعة العربية .

ـ ألا نستطيع أن ننجو بالوحدة من هذا الواقع ؟

ـ نستطيع إذا أحكمنا قيادة دفة الأمور وأبقيناها في يد ملاح ماهر قوي . وأنا أرى في عبد الناصر هذا الملاح الماهر القوي . ولكنني أخشى من البحارة أخشى تمردهم في يومٍ من الأيام .

ـ ولكن كيف يحدث التمرد ما دام قائد السفينة هو الذي يختار بحارته ؟ .

ـ أنا واثق أن عبد الناصر سيُحسن إختيار بحارته . . ولكن التمرد طبيعة في النفس البشرية ، ثم لا تنسى تمرد البحر في بعض الأحيان وتفرق من عليها ليبحث كل واحد منهم عن طوق النجاة ، وفي تفرقهم يندفعون بلا حساب وقد يدوسون بعضهم البعض

ـ والنتيجة غرق السفينة

ـ قد يتلطف الله بها فتبقى طافية . . ولكن لا بد أن تحدث خسائر .

ـ فلنكن متفائلين .

ـ بل قل فلنكن حذرين .

ـ ثمة سؤال هام هل يقبل الشعب السوري الوحدة وإلى أي مدى ؟



حديث على الماشي في حديقة قصر الرئيس شكري القوتلي

ـ الشعب السوري تقبل الوحدة بالفعل ، فقبلها بنفس الحماس والفرح اللذين تلقاها بهما الشعب المصري وسيظل على قبوله لها ما دامت تكفل له الحرية ولقمة العيش وتحقق له مكانة دولية مرموقة

ـ ألا تخشى على الوحدة من دعاة التفرقة الذين ترتبط مصالحهم ومغانمهم بها ويدومون ما دامت .

ـ تقصد القرصان . . إنهم بسبيل الإنقراض . . الخوف كل الخوف على الوحدة من العواصف والأنواء ، ولكن طالما السفينة قوية محصنة ضدها وطالما كان بحارتها يقظين وكل في مكانه فلن تهتز ولن تنقلب وستبقى باسم الله مجراها ومرساها

ـ لننتقل إلى الجانب الشخصي .

ـ ماذا تفعل بعد إعتزالك الحكم ؟

ـ أستريح فقد آن لي أن أستريح

ـ ألا تقبل منصب مستشار للعهد الجديد لو عُرض عليك ؟

ـ لا لن أقبل لأنني لا أصلح لهذا المنصب . فالحكم اليوم غيره بالأمس وقد تغيرت أساليبه وسياسته ، ورجال العهد الجديد أدرى مني بها

ـ هل ستكتب مذكراتك ؟

ـ لا ، لأنني أخشى أن يُقال عني إنني كذبت أو بالغت في كتابة هذه المذكرات وأفضل أن أتركها لمؤرخ مدقق ينصفني إذا كنت أستحق الإنصاف ، إذا كنت وفيت بالعهد والقسم وأخلصت في خدمة بلادي ، أو يدينني إذا كان هناك ما يدينني .

* * *

وإلى هنا كنا قد وصلنا إلى الكشـك ، وكان في انتـظارنا الشـاي مع مختارات من الحلويات الشامية ، وتعطلت لغة الكلام !

في مصر :

جلست على عرش محمد علي

كانت حراسة الملك فاروق مهمة صعبة مع كثرة تنقلاته ومع تواجده في سهرات في أماكن عامة مثل الكازينوهات والكباريهات .

كان يجلس في أوبرج الأهرام إلى مائدة وحوله حاشيته وسط موائد جمهور الكازينو يشرب الممنوعات في فنجان الشاي ، وإلى جانبه بوللي بك مستشاره النسائي الذي ارتفع إلى هذا المنصب من عمله المتواضع ككهربائي بقصر عابدين . وهو من أصل إيطالي . ومع بوللي كان يجلس أيضاً مستشار الملك في شؤون القمار ومستشاره في صفقات المال .

وفي كازينو الكيت كات في أمبابة كان فاروق يجلس في مقصورة كبيرة يفصلها عن صالة الكازينو التي يجلس فيها رواده ستار شفاف وردي اللون . وهذا الستار يسمح لفاروق خلفه بأن يكشف الصالة بأكملها ولكنه لا يسمح لرواد الكازينو أمامه بأن يروا الملك وما يدور داخل مقصورته الكبيرة .

وكانت استراحاته تنتشر في كل مكان . . وكان يعد فيها الطعام الملكي كلها لتكون جاهزة إذا ما جاء الملك فجأة . . وكان يحلو له أن ينتقل بين أكثر من إستراحة في نفس الليلة .

وكان يحلو له التردد على كازينو « حلمية بالاس » بحلمية الزيتون .



وعلم أنه ستقام في هذا الكازينو مسابقة لإنتخاب ملكـة جمال مصر . وإن من بين المتسابقات « كاميليا » نجمة السينما الحسناء التي ماتت بعد ذلك في حـريق بطائـرة كانت مسـافرة إلى نيـويورك   وكـان يـطارد هـذه الممثلة . وذهب من أجلهـا إلى حفل كـازينو الحلميـة بالاس وأرسـل « بولـلي بك » مدير الشؤون الخصـوصية في ديـوان الملك . . أرسله فاروق لـيرمي شباكـه حول كاميليا ، ولكنها جاهدت لتنجو من هذه الشباك ، وهربت من الحفل متنكـرة في ملاءة لف   والغـريب أنها رغم مغادرتهـا الحفل إنتخبت ملكـة لجمال مصر ، بتوجيـه سامٍ من جـلالته طبعـاً   وظل فـاروق في مطاردتـه لكاميليا حتى سبقه القدر وفاز بها الموت .

وكنت بحكم عملي كمحرر دبلوماسي لمجلة المصور أرى فاروق ملكاً يحكم في قصره يستقبل كبار الزوار والوفود ورئيس الوزراء والوزراء ورجال الديوان الملكي فأراه جاداً في مـظهره والله يعلم مـا في باطنـه وترى آيـات النفـاق وبهلوانيات الـولاء من الرجـال الكبار . . إنحنـاءات وتقبيـل لليـد وخشوع العبد للسيد فأرثي للخادعين وأشفق على المخدوع . . وكنتُ أرى فاروق في سهراته ولهوه يعيش في فـراغٍ من الوقت وفـراغٍ من العقل ، لا يفترق في شيء عن العاطلين بالوراثة من الشبان العابثين المنحـرفين الـذين يملأون نوادي وكهوف الليل فأرثي له وأشفق عـلى الشباب الضـائع الـذي يقتدي به   وكنت أرى فـاروق أيضاً في رحـلاته وجـولاته في أرجـاء البلد الذي مُني بولايته ونُكب بحكمه وأرى الحشـود من الناس الـذين حشدتهم سلطات الحكم يهتفـون بحياتـه وبافتـدائهـم له بحيـاتهم فأذكـر قـول أحمـد شوقي أمير الشعراء في رائعته « مصرع كيلوباترا » على لسان شابين في قصر كليـوباتـرّ « جابي ، ديـون » وهما يسمعـان هتاف شعبهـما « لمارك انـطوان » العدو ـ الحبيب ـ يقول جابي لديون

اسمــع الشعب ديــون	كيف يــوحــون إليــه
مــلأ الجــو هــتــافـاً	بــحــيــاتي قــاتــليــه
أثــر الــزور بــه	وانــطلى البهتـان عليــه

ويرد عليه « ديون »

أجل جابي سمعت كما سمعت وراعيني أن الرمية تختفي بالرامي
هتفوا لمن شرب الطلاق تاجهم وأصار عرشهم فراش غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئاً ولو استطاع مشى على الأهرام

* * *

وكانت ثورة ١٩٥٢ ورحل فاروق . ووقفت على رصيف قصر رأس التين في الاسكندرية أشهد إبحاره على يخته « المحروسة » إلى المنفى في رحلة اللاعودة ورددت في نفسي :

ـ سبحان الدائم صاحب الملك والعزة .

وعدت إلى بولكي مقر رئاسة الوزراء لألقى أنور السادات ينزل السلم ، ولأعانقه وأقبله أول قبلة تلقاها تهنئة باكتمال انتصار وسيادة الشعب .

* * *

وكانت تربطني « بالأميرة فوقية » شقيقة فاروق وزوجها فؤاد صادق وشائج المعرفة . ورابطة صداقة منذ كانت مع الأميرات شقيقاتها في النشاط النسائي في مبرة محمد علي . وذهبت لزيارتها حيث استقرت بعد الثورة في شارع النيل بالعجوزة . . ذهبت ومعي نسناس وقصة هذا النسناس أنني كنت في السودان في رحلة عمل ، وأهداني صديق « نسناساً » وجئت به إلى القاهرة ، ولكنه لم يأتلف مع ولدي الأصغر ، فرأيت أن أهديه إلى أطفال الأميرة فوقية حيث يتسع له المجال في حديقة القصر ، واستشرفت واستأذنت الأميرة في هذه الهدية فرحبت بها وكان موعد الزيارة الذي حددته في الصباح المبكر على الإفطار .

وجلسنا في الحديقة على مائدة الإفطار الذي أعدته بيديها . كان هذا واضحاً لأنني لم أرَ خادماً أو خادمة وحتى على الباب لم أجد بواباً

والتف الأطفال حول « النسناس » قائمين بدورهم على إفطارهم

ولم يمر وقت طويل على هذه الزيارة حتى علمت أن الأميرة فوقية قد انتقلت من قصر العجوزة إلى ڤيلا صغيرة في أطراف مدينة الهرم . . وذهبت لزيارتها ووقعت عيناي وأنا اجتاز باب حديقة الڤيلا على مشهد مأساوي أبكاني كانت الأميرة فوقية جالسة القرفصاء أمام باب الكاراج الخالي من السيارات جالسة وأمامها وعاء للغسيل تغسل ثياب أطفالها وتمتمت شفاي

ـ هذا ما جناه أخي عليَّ !

وبكل بساطة قصت عليَّ الأميرة فوقية لماذا انتقلت من القصر إلى الڤيلا كان القصر كبيراً ويحتاج لعدد كبير من الخدم وهي لا تستطيع الآن الوفاء بأجرهم وكنت بعد هذه الزيارة في طريقي إلى « كوم أوشيم » لأشهد مرحلة من « مشروع الشجرة » الذي دعا إليه الرئيس محمد نجيب ، رئيس الجمهورية وقتئذٍ لتشجير مصر بالغابات . ودعوت الأميرة وزوجها للسفر معي في سيارتي الصغيرة المتواضعة وزرعا شجرتين لا أدري مصيرهما بعد ذلك .

* * *

وعلى العكس كنت أرى « فاروق » في المنفى يعيش ملكاً غير متوج بملايينه التي هربها خلال حكمه . . كنت أراه لاهياً عابثاً كعادته القديمة في علب الليل وكباريهات روما . . وكنت أراه فجعاناً لا يشبع على موائد فرناندو ملك المعكرونة المشهورة هناك .

كما رأيت فيٰ رحلة لي في إميركا « الملكة نازلي » تحيا حياة أصحاب الملايين في قصر فاخر في « بيفرلي هيلز » ضاحية لوس أنجلوس التي يعيش فيها نجوم السينما وكواكبها . . كانت تعيش مع ابنتها الصغرى « فتحية » وزوجها « أمين غالي » أحد شباب السلك الدبلوماسي المصري سابقاً الذي



الأميرة فوقية تزرع شجرة في غابة أوشم

ربطت بينه وبين الأميرة قصـة حب في أواخر سنوات حكم فاروق واهتزت بها أسلاك البرق في جميع أنحاء العالم كما اهتزت من قبـل بقصة غـرام ولي عهد بريطانيا « البرنس أوف ويلز » ومسز سمبسون

ورأيت قصر نازلي متناهياً في الفخامة زاخراً بالأثاث والـرياش يمـوج بالخدم والحشم وهمست في إذني فرحة

- حـظي من السماء فقـد تفجر البـترول في أرضٍ اشتريتهـا إنني سعيدة جداً

وكان بادياً على الأميرة فتحية الخرق والمعاناة وهمست في إذني قائلة :

- حظي في منتهى السواد . . . إنني تعيسة جداً

ولم تقـل لي السر ، وإنمـا همس بـه في إذني وأنـا خـارج خـادم كنت أعرفه من القاهرة وقال لي

- مسكينة الأميرة فتحية . . أمين غالي زوجها يسيء معاملتها إلى حد أنه كثيراً ما يضربها ضرباً مبرحاً ، وأمها الملكة تسانده وتنصره على ابنتها .

وفي مصر كانت أميرات وأمـراء الأسرة المالكـة يعيشون حيـاة تقشف وحرمان بعد أن صودرت جميع أملاكهم ، والسعيد الحظ منهم من استطاع الهـرب إلى الخارج بعـد تهريب جـانبٍ لا بأس بـه من ثـرواتهم . وكـانت أشقاهم الأميرة عين الحياة التي أحبت وقد تجاوزت الخمسين ضابط شرطـة شاب وسيم أنيق في عمر أبنـائها وأغـرته عـلى الإستقالـة من عمله وسلمته مقاليد إدارة أملاكها الواسعة يفعل ما يشاء ، وينفق ما يشـاء ، حتى إذا ما جاءت الثورة وقضي بمصادرة أملاكها لم يجدوا عندها ما يُصادر سوى بعض المجوهرات والمصوغات واتضح أنها ليست أصلية بل مزيفة .

وأميرة أخرى عجوز كانت تقيم سهرات ألف ليلة في قصرها وتـدعو إليهـا فاروق وتغـرقه في الشرب والقـمار وكل مـا في سهرتهـا من مـوبقـات انتقاماً لإبنها الذي كان أولى بالعرش طبقاً للقاعدة التي كان معمولاً بها في

انتقال الملك بالوراثة وكان ابن هذه الأميرة الأصغر ينافسها في إقامة هذه السهرات في قصره وكانت السهرة تبدأ بحضور المدعوين جميعاً ، ثم ينصرفوا فيقيم الأمير سهرة خاصة يرتدي فيها ملابس وحلى نسائية وهذه كانت هوايته الشاذة .

* * *

ومن أمراء أسرة فاروق « الأمير عبد المنعم » الذي عُيّن رئيساً لمجلس الوصاية على العرش عقب الثورة وحتى أُعلنت الجمهورية وهو ابن الخديوي عباس حلمي خديوي مصر الأسبق . وكان يقيم في قصرٍ كبير في مصر الجديدة ، ومتزوجاً من « نسل شاه » إحدى أميرات ثلاث تفوقن في جمالهن على نساء العالم . وذهبت ومعي زميل مصور إلى قصر الأمير لحديث وريبورتاج . واستقبلني هو والأميرة الحسناء . وبعد جولة في القصر ثم الحديقة حيث كان الأمير قد بنى « أكواريوم » كبير لأسماك الزينة ، كما كان يقتني عدداً من الببغاوات الملونة الريش . . بعد هذه الجولة جلسنا إلى مائدة الشاي في الحديقة . . واعترف إنني لم أستطع أن أنحي بصري عن الأميرة الصارخة الجمال ، وقد لاحظ ذلك الأمير وأدركته الغيرة التي لم يكن لها محل واغتاظ ، فلما سألته هل تتكلم ببغاواته رد بخشونة وبلهجة فيها اللكنة التركية المعروفة

ـ أنا موش حب حيوان كلم (أي أنا لا أحب الحيوان الذي يتكلم) .

واستأذنت الأمير لنبدأ الحديث، فقال لي بجفاف :

ـ أترك أسئلتك وسأُجيب عليها وأرسلها إليك

وكان معنى ذلك إنهاء مقابلتي .

* * *

وبعد رحيل فاروق أُتيح لي أن أصحب لجان جرد مقتنياته ومقتنيات أسرته الثمينة التي كان لها قيمة تاريخية مهمة فضلاً عن قيمتها المادية



الكبيرة . ومن بين هذه المقتنيات كـان « عرش محمـد علي » مؤسـ , الأسرة وأول حكامها كرسي ضخم مذهب قاعدته على الأرض . قاعدة عبـارة عن مـرتبة حشـوها ريش نعـام وغلافهـا من القطيفـة الفرنسية الثمينة بـين مسنـدين على هيئـة أسدين وظهـر الكرسي إطـار مذهب ومبـطن بحشـوين ريش نعام تحت غطاء من نفس القطيفة المصنوع منها غلاف المرتبة ، يعلوه تمثالان لملاكين . . والأسدان رمـز قوة وبـطش محمد عـلي صاحب العـرش رابضان إلى جانبه .

وخطر لي خاطـر عابث أن أجلس عـلى عرش محمـد علي ، فجلست القرفصاء كما كان يجلس وإذ جلست تصورت محمد علي يسألني

ـ مـاذا كنت تفعـل لـو كنت مكـاني وقت أن جلست عـلى هــذا العرش ؟

وأجبته :

ـ كنت أفعل كل ما فعلت إلا شيئاً واحـداً مذبحـة المماليـك . . ما كنت ذبحتهم ، ليس لأنهم لا يستحقون الذبح ، بل لأنني أخاف الـدم ولا أجسر على رؤيته ولا أستطيع لذلك أن أذبح دجاجة . . لذلك ما كنت ذبحت المماليك ، بل أتركهم يذبحونني ويريحونني ويـريحون مصر من مـظالم وفساد وعبث ومجون خلفائي ابتداء من إبراهيم وانتهاء بفاروق .

رفض ٥٠٠٠ جنيهاً تعويضاً
عن صورة الملكة ناريمان

رآها في محل أحمد نجيب الجواهرجي ، فأحبها من أول نظرة ، وقرر أن يتزوجها ، وسأل الملك فاروق الجواهرجي

ـ من هذه الفتاة الجميلة ؟

ـ ناريمان إبنة وكيل وزارة الأشغال .

ـ حسناً ، أريد الزواج منها .

ـ ولكنها مخطوبة يا مولاي !

ـ ولو . . . تفض خطبتها

وهكذا خطب « فاروق » ناريمان . . وهكذا فضت ناريمان خطوبتها لشاب عادي من مستواها وهي لا تصدق أنها ستصبح ملكة مصر .

وكانت مفاجأة تحدثت عنها الدنيا كلها ملك مصر يتزوج للمرة الثانية من بنت الشعب بعد أن طلق زوجته الأولى فريدة ، ومع ذلك ومع تناقل وتداول الخبر في كل أنحاء العالم لم يذع رسمياً من القصر الملكي ، ولم يكذب أو يؤيد لا من القصر ولا الحكومة .

وبدأ سباق السبق الصحفي بيننا نحن الصحفيين ، واستطعت أنا

والزميل الكبير الراحل طاهر الطناحي مدير تحرير مجلة دار الهلال الشهري وقتئذٍ أن نحصل على بعض أوراق إمتحانات ناريمان بخطها وبعض صور فوتوغرافية من مدرسة مصر الجديدة الثانوية للبنات التي درست فيها المرحلة الثانوية وفرح المرحوم إميل زيدان أحد صاحبي دار الهلال بهذا السبق الصحفي واخترنا إحدى صور ناريمان لتكون غلافاً للعدد الجديد من المصور وأفردنا عدة صفحات في الداخل لنشر تحقيقنا الصحفي مع باقي الصور .

وما كاد يفرغ طبع المجلة ، وتُعد للتوزيع حتى إتصل فؤاد سراج الدين وزير الداخلية بإميل زيدان تليفونياً يقول له

ـ ممنوع نشر صور ناريمان أو أي حاجة عنها

وصمم إميل زيدان وسأل الوزير :

ـ ليه ؟

ـ الأوامر كده .

ـ بس إحنا خلاص طبعنا العدد والصورة على الغلاف إضافة لموضوع داخل العدد .

ـ غيروا الغلاف وشيلوا الموضوع

ـ حايتأخر صدور العدد ؟

ـ ما يهمش

ـ طيب مش أعرف السبب يا باشا ؟

ـ الأوامر كده ، زي ما قلت لك ولازم تنفذ .

وختم سراج الدين حديثه مع إميل زيدان بقوله :

ـ تعال عندي في الوزارة أنا عاوزك

وذهب إميل زيدان إلى مكتب سراج الدين في وزارة الداخلية وظل الوزير يخفي عن إميل زيدان سبب القرار وقال له :

ـ طبعاً فيه خسارة عليكم .

ـ طبعاً

ـ طيب اتفضل .

ـ ايه ده ؟

ـ شيك بخمسة آلاف جنيه لتعويض الخسارة .

ورفض الصحفي النزيه الطاهر الشيك وقال للوزير :

ـ لقد اعتدنا في دار الهلال تحمل خسائرنا دون تعويض أحد . . أشكرك يا معالي الوزير .

وخرج إميل زيدان من مكتب وزير الداخلية منتصب القامة مرفوع الرأس .

الهجوم على صينية كنافة مع محمد نجيب

كنا في رمضان . ووقتها كنت مندوباً للمصور في رئاسة الجمهورية وكان رئيس الجمهورية هو « اللواء محمد نجيب » أول رئيس لجمهورية مصر العربية وكان يرحمه الله ديمقراطياً وشعبياً بالفطرة .

وكنا واقفين عند باب حديقة ڤيلا محمد نجيب المتواضعة على قمة شارع صغير متفرع من شارع طومان باي الكبير في حلمية الزيتون . كنا واقفين نحن ومندوبي الصحف في الرئاسة عند باب الحديقة وقد نزل محمد نجيب للحديث معنا عندما حانت ساعة الإفطار وأذن المؤذن آذان المغرب حين دلف من أمامنا غلام صغير يحمل صينية قادمة لفورها من الفرن وبسرعة استوقف محمد نجيب الغلام ودعانا إلى تناول قطعة كنافة للإفطار عليها على أن نكمل الإفطار على مائدته في الداخل وفعلنا

وجلسنا على مائدة الإفطار مع محمد نجيب . وفوجئنا عندما جاء دور التحلية بصينية كنافة أخرى . وقلت للرئيس :

ـ لقد أكلنا الكنافة مقدماً على باب الحديقة .

وضحك محمد نجيب وقال :

ـ تلك الصينية لم تكن تخصنا كانت صينية الجيران . . والغلام شغال عندنا وقد استعاروه منا لتسوية الكنافة بالفرن . . وقد عرضنا

عليهم أن نعوضهم بهذه الصينية التي ترونها أمامكم لكنهم أبوا وقالوا « بالهناء والشفاء »

* * *

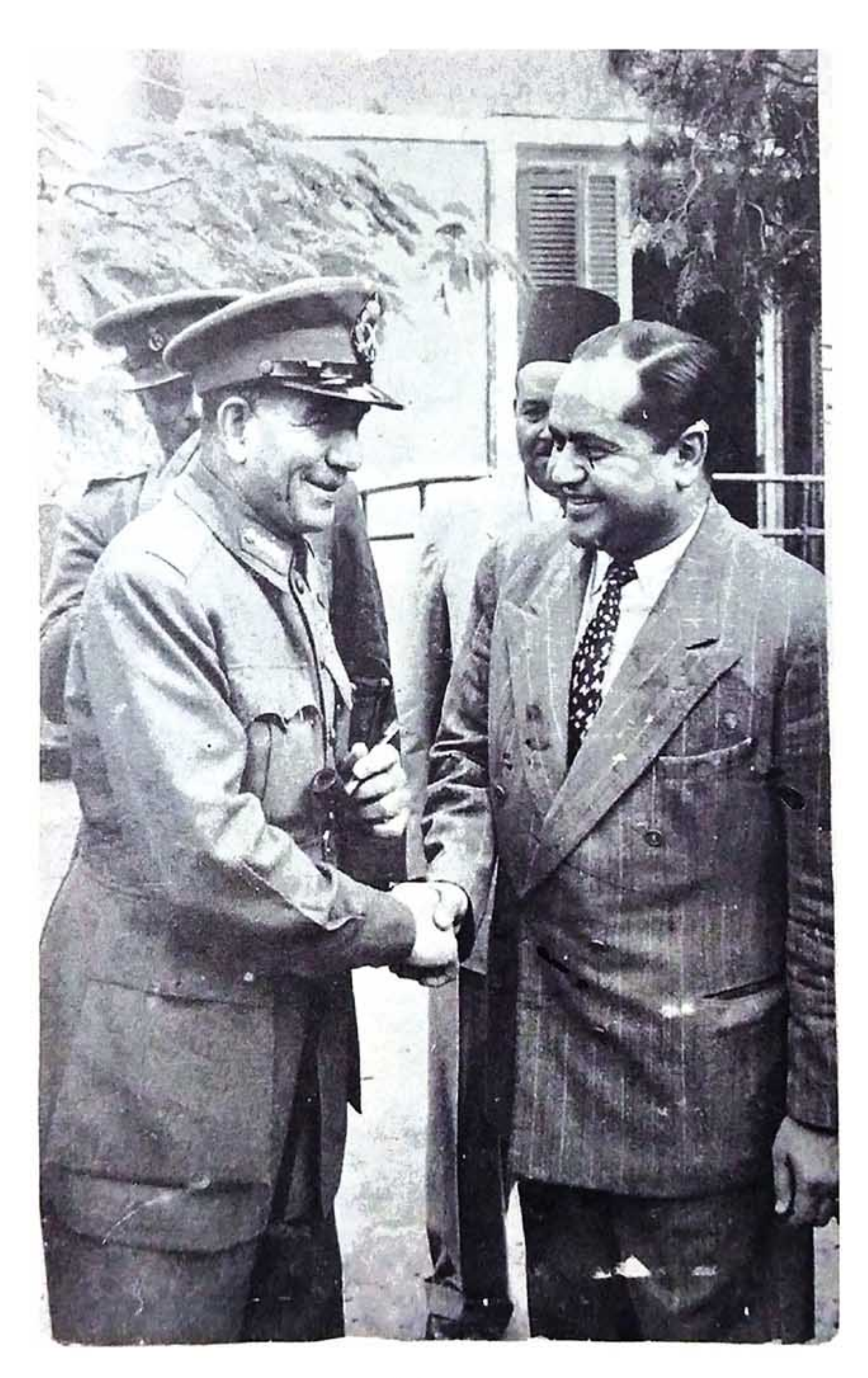
ورافقت « محمد نجيب » في رحلته الطويلة بالباخرة النيلية في بلاد النوبة وأعالي النيل ورغم ما اقترن بهذه الرحلة من ظروف سياسية لا يتفق سردها مع الطابع المحايد الذي حرصت عليه في كتابة هذا الكتاب ، فإنها رحلة من رحلات العمر التي لا تُنسى .. رحلة رب الأسرة مع أسرته ، فالرجل يحرص على راحتنا نحن المرافقين له فرداً فرداً ويحيطنا برعايته وحنانه ويهتم بصحتنا ويسأل عنا كل صباح واحداً واحداً ، ويؤكد على معاونيه أن يتيحوا لنا فرصة الإتصال التليفوني بعائلاتنا في القاهرة كلما أردنا وكانت فرحة النوبيين بالرحلة وإستقبالهم لنا ونحن نطوف قراهم في أحضان الجبل على ضفاف النيل .. كانت فرحتهم عارمة واستقبالهم حافلاً

وكانت الموائد التي نُدعى إليها تحفل بأطيب الأطباق وأشهاها مما لا نجده إلا على موائد وبوفيهات الفنادق الكبرى في القاهرة خصوصاً ألوان الفطائر والحلوى كنا نجد أمامنا طعاماً عالمياً بأدق وأرقى مستوياته . وعقب إحدى المآدب الحافلة بهذه الأطباق العالمية قال الفريق نجيب لمضيفنا النوبي وهو يشكره

ـ إنكم تكلفون أنفسكم مشقات ونفقات كثيرة لجلب هذه الأطباق الفاخرة من القاهرة

وابتسم الرجل وأجاب

ـ هذه الأطباق ليست من القاهرة يا سيادةِ الرئيس ... بل من هنا نصنعها بأيدينا ونحن الذين نصنعها في القاهرة ، فالطهاة ورؤساء الطهاة في الفنادق الكبرى منا



مع محمد نجيب

وبينما كنا ماضين في رحلتنا في النوبة كانت تصل أنباء مكـدرة لمحمد نجيب من القـاهرة مجلس الثـورة يحد من سلطة محمـد نجيب ويقلص اختصاصاته ويمهد لتنحيته ومع ذلك كان الرجل صلبـاً صامـداً يجاهـد ليتماسك ويحبس الدموع في عينيـه ، ويخفي الأمر عنـا وهو يعلم أننـا لا بد مـدركين لـه من مصـادرنـا الخـاصـة السريـة ولم يفكـر في قـطع الـرحلة والإسراع بالعودة إلى القاهرة لتدارك الموقف .

* * *

وقد عاش محمد نجيب في السودان سنـوات وفي جعبته الكثـير من الذكريات الطريفة عن هذه السنوات التي يحلو له أن يرددها في مجلسـه وفي زيارته للسـودان وهو رئيس لجمهـورية مصر العـربية رأيتـه يسأل أحـد أصدقائه السودانيين القدامى

- إزاي عم آدم ؟

- بخير .

- أظن كبر ؟

- عدى المائة .

- بطل جواز ؟

- لسه متجوز وفي شهر العسل

وقص علينـا محمد نجيب حكـاية عم آدم تـاجر غـلال تقتضيه طبيعة عمله التنقل والأسفار بين بلدان السودان وفي الخارج وقـد اعتاد في كل بلد يحل به أن يتزوج من بناته مـراعياً أن تكـون بين زيجـاته دائمـاً أربعة زوجات متزوج بهن زواجاً شرعياً والباقيات زواجهن عرفياً وجاء وقت كـان ينساهن ويخلط بينهن لكـثرة عددهن ، كـما أنـه لم يستـطع أبـداً حصر عدد أبنائه وبناته وحفظ أسماءهم

في صحبة قادة ثورة مصـــر

في بداية ثورة مصر في سنة ١٩٥٢ صحبت قادتها جمال عبد النـاصر ورفاقه في جـولتهم في المدن والأقـاليم للقاء الشعب وطـرح برنـامج الثـورة عليه . . وكان لقاء الأهل والأحباب

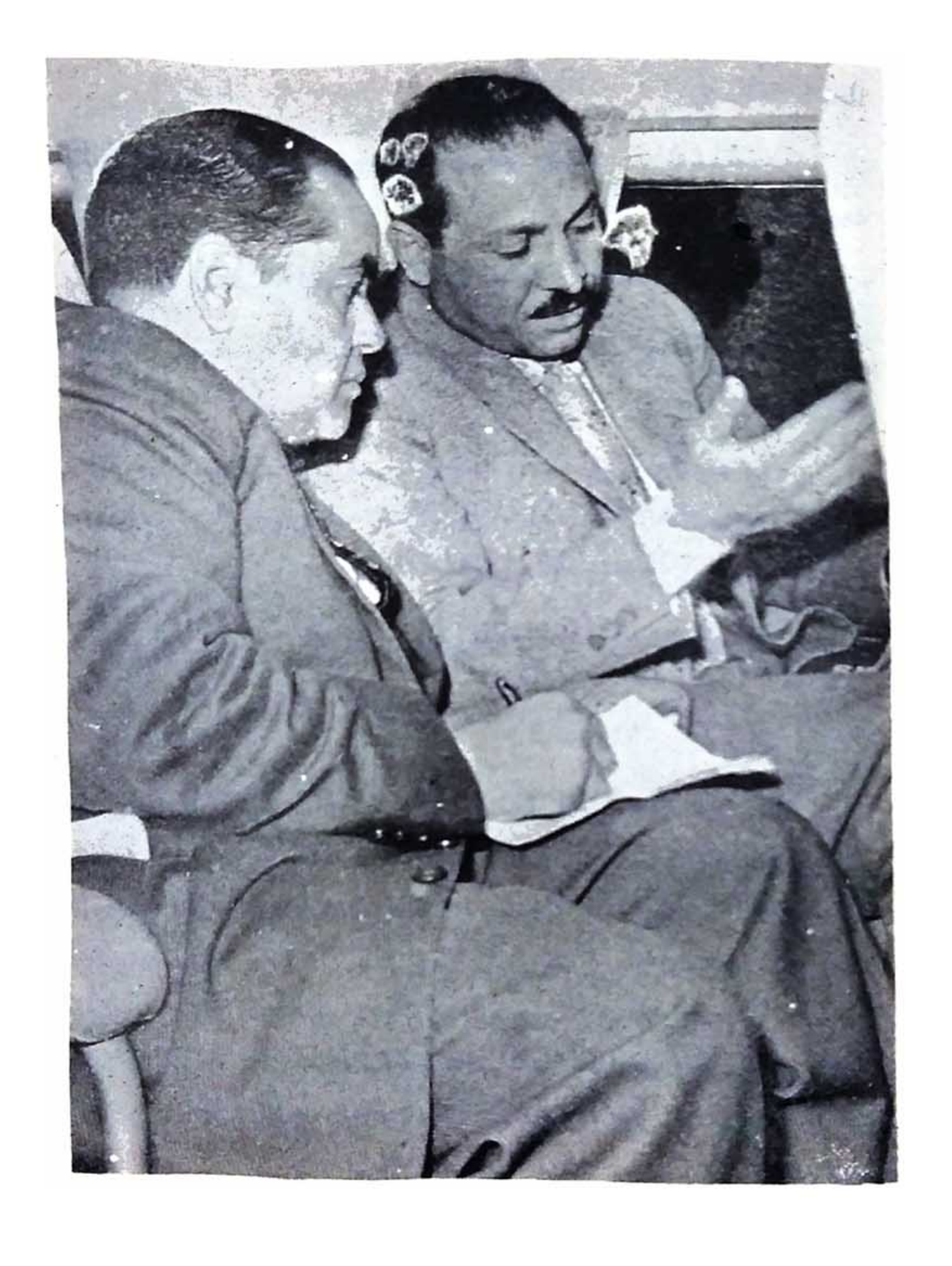
وفي زحمة اللقاءات والإنتقالات كان عبد الناصر ورفـاقه يعـانون من العرق ويضطرون إلى إبـدال قمصانهم عـدة مرات ، وكـان أكثرهم معـاناة عبـد الناصر نفسـه وذات ليلة وكنا في بـورسعيد ، وقـد آووا جميعـاً إلى الفـراش ، وكنا نقيم في إسـتراحة الجيش عـلى شاطىء البحـر ، قمت من نومي لأشرب ، وفوجئت بعبد الناصر في الحمام يغسل قمصانه ، وسألته في دهشة :

ـ لِمَ تتعب نفسك ومعنا حشد من عساكر المراسلة ؟

ـ كلهم نائمين وحرام أن أوقظهم لعمل استطيعه بسهولة

* * *

وعرفت في رحلتي الأولى مع قادة الثورة أن عبـد الناصر لا يـأكل في العشاء إلا الجبنة البيضـاء والخيار . وذات ليلة ونحن في بـورسعيد حـان موعد العشاء وكان الخيار جاهزاً أما الجبنة البيضاء فقد تعذر العثـور عليها في محلات البقالة بالمدينة وذهبت إلى صديق من أهل بورسعيد أطلب منه



حديث في الطائرة مع عبد اللطيف البغدادي عضو مجلس الثورة

العون فقال لي :

ـ الحمدلله عندي صفيحة جبنة بيضاء بحالها جاءتني هدية من دمياط خذها

وأخذت الصفيحة ، وسلمتها لعسكري مرافق وقلت له

ـ هذه عهدتك . خلها مع أمتعة الرحلة لا تفارقنا ، تحت طلب عبد الناصر .

وفي صباح اليوم التالي فوجىء صديقي صاحب صفيحة الجبنة ببعض رجال المخابرات يقودونه إلى الإستراحة وهو فزع يرتعد ، وسألت عبد الناصر عن السبب فقال لي ضاحكاً :

ـ قلت لهم عاوز أشكره على الجبنة فجابوه .

* * *

كان عبد الناصر اذا طالت إجتماعات مجلس الثورة أو مجلس الوزراء يشير بإحضار الغذاء من مطعم أبو شقرة الكبابجي . وأراد أبو شقرة بسذاجة أن يستغل هذا الإختيار ، فسجل عدة صور لموكب الكباب وهو يتجه بقيادته إلى مجلس الثورة أو مجلس الوزراء . ثم صوراً عديدة لعبد الناصر ولأعضاء مجلس الثورة والوزراء وهم يتناولون الغذاء . ولم يكتف بذلك بل إستعان بخطاط ليكتب له تعليقاً أسفل كل صورة « كباب أبو شقرة وهو في طريقه إلى مجلس الثورة ـ جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يأكلان كباب أبو شقرة الشهي ـ أعضاء مجلس الثورة يستمتعون بأكل كباب أبو شقرة الممتازة ـ الوزراء على مائدة أبو شقرة الذي يُرى خلفهم في الصورة » . إلى آخر هذه العبارات الساذجة وعلق عشرات من هذه الصور متجاوزة متزاحمة على حوائط مطعمه .

وعلم عبد الناصر بما فعله أبو شقرة ذات يوم ، فلما جاء أبو شقرة في اليوم التالي قال له عبد الناصر ضاحكاً يا تشيل الصور دي يا نأكل

عند كبابجي تاني ونطلعك كذاب ، وأسرع أبو شقرة برفع الصور في نفس اليوم

* * *

ورافقت عبد اللطيف بغدادي عضو مجلس الثورة في رحلته لأسوان وفي عودتنا بالطائرة ونحن نحلق فوق القاهرة ، وكان الوقت ليلاً أشار بغدادي من النافذة وقال فرحاً مغتبطاً

ـ هذا شارع رمسيس وقد سطعت أضواءه .

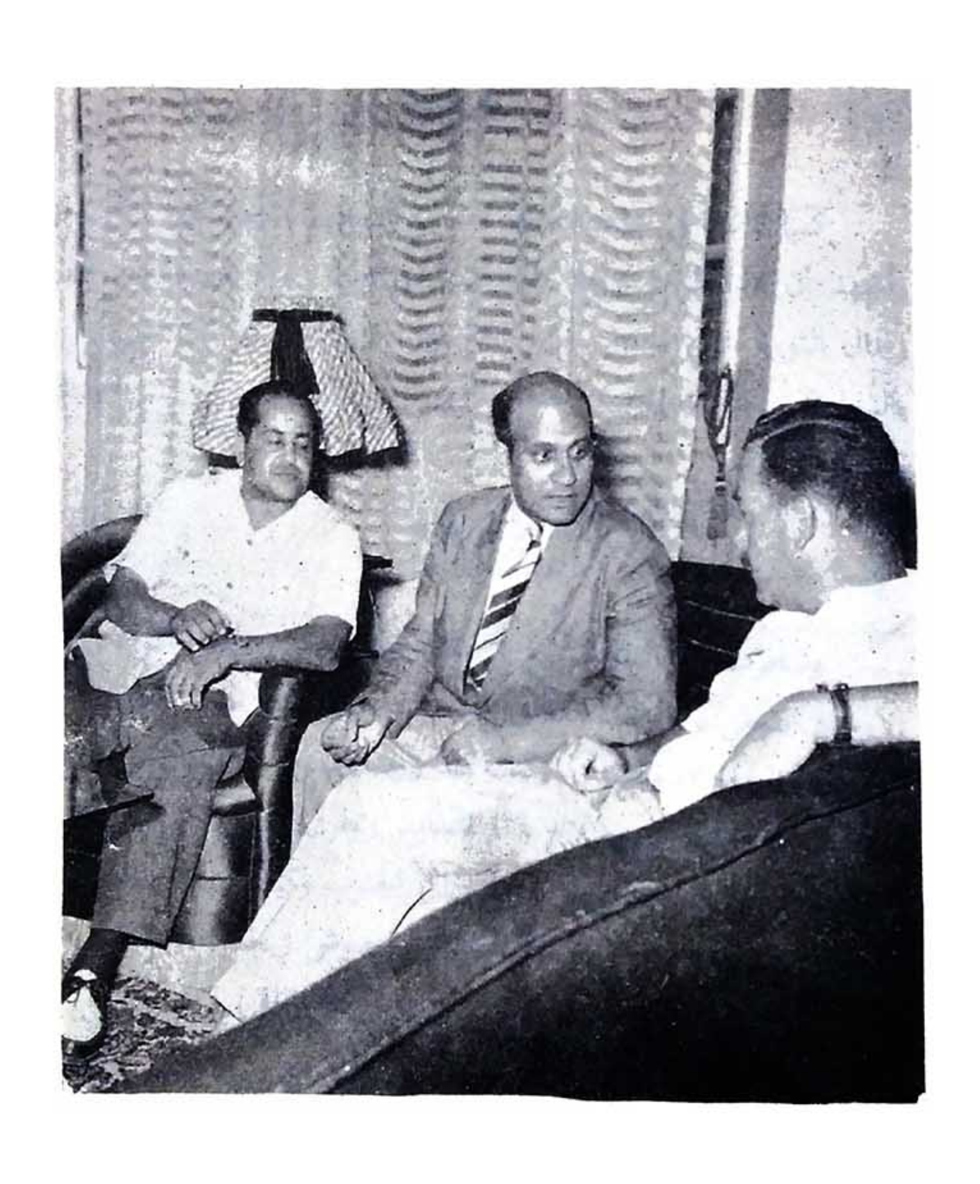
وكان تجديد شارع رمسيس من مشروعات بغدادي الأولى عندما تولى وزارة الشؤون البلدية .

وكنت أوالي مقابلة البغدادي وأظفر بأحاديث منه كثيراً ما تكون سبقاً صحفياً ، وكنت أقابله في مكتبه أو في بيته في مصر الجديدة وحتى في كابينة في الاسكندرية بل وأحياناً كنت ألاحقه وهو يلعب الأسكواش راكيت ، لعبته المفضلة في نادي مصر الجديدة

ومع ذلك لم أنجو من غضبته عندما أصبح رئيساً لمجلس الشعب ، وعينت مندوباً برلمانياً للمصور في المجلس ..

فذات يوم في جلسة صباحية للمجلس كان الحر شديداً ، والرطوبة مطبقة خانقة ، وكنتُ جالساً في شرفة الصحفيين ، وضاق صدري بالجو ، ولم يكن المجلس قد استكمل عملية تكييف هوائه بعد ووجدتني بلا شعور أخلع سترتي وأعلقها على الكرسي ورائي . . وكنت مطمئناً إلى أنه لا أحد رآني أفعل ذلك ، ولا أتوقع أن تكون عين البغدادي الفاحصة المدققة قد أدركتني وهو في كرسي الرئاسة وكانت النتيجة القاسية أن أمر قائد حرس المجلس بسحب بطاقتي وحرماني من دخول المجلس ولم يشفع لي عنده سابق معرفتي به ومعرفته بي

* * *



مع حسين الشافعي عضو مجلس الثورة

وكانت لي جلسات مع « حسين الشافعي » عضو مجلس الثورة ونائب رئيس الجمهورية في أواخر عهد عبد الناصر ، وكانت جلسات دين وتصوف ، فقد كان الرجل وما زال رجل دين أكثر منه ضابطاً أو رجل سياسة

* * *

كما كانت لي جلسات مع « حسن إبراهيم » عضو مجلس الثورة وأشهد أن هذا الرجل رجلاً طيباً أنيساً متواضعاً وإنه شكلاً كان أصلح رجال الثورة لتولي منصب وزير الخارجية ، لولا للأسف أنه ليس مغرماً بالسياسة ، كما أنه تنقصه الصفة الأولى لرجل السياسة وهي مكر الثعالب ودهائها !

* * *

وسافرت إلى السودان مع « صلاح سالم » عضو مجلس الثورة ووزير الإرشاد القومي ، ونزلت معه في ضيافة « عبد الفتاح حسن » الذي كان يمثلنا في السودان وقتئذٍ ، وكنتُ قد زرتُ جنوب السودان من قبل . وجلست ذات ليلة مع صلاح سالم نتسامر وتطرق الحديث بنا إلى جنوب السودان وانطلقت أحدثه عن رحلتي إلى الجنوب وكيف كانت مغامرة شيقة ممتعة في ظل الأدغال ومع الإنسان والوحوش في قلب الغابة ، وراق حديثي لصلاح سالم واستهوته فكرة القيام برحلة مماثلة .

وحكيت له ضمن ما حكيت كيف تمضي السياسة البريطانية الإستعمارية في حكم هذه المناطق وكيف أن همهم الأكبر أن يبقوها منعزلة عن العالم ، وأن يبقوا بمعزل عن الإنسان المتمدن لدرجة أن حاكم الإقليم يخلع ملابسه ويسير عارياً بين الأهالي العراة بدل أن يحثهم على ستر عريهم ويوهمهم بأنه مثلهم . وهكذا بقي الناس في الجنوب إلى اليوم عراة حفاة كما ولدتهم أمهاتهم . وظفر الحاكم الإنكليزي برضاهم .

وانتهت سهرتنا في ساعة متأخرة ، ونمنا وفي الصباح فاجأني صلاح سالم بقوله

- استعد سنقوم في الغد برحلة إلى الجنوب ، وستكون دليلنا في هذه الرحلة

وأضاف ضاحكاً

- اطمئن سوف أظفر برضاهم . ولن أكون أقل من الحاكم الإنكليزي سعياً لنيل هذا الرضاء

واحمر وجهي خجلاً ولم أحر جواباً

وسافرنا إلى الجنوب وفي إحدى القرى في قلب الغابة استقبل الأهالي صلاح سالم فرحين مهللين ، وعقدوا حلقة لرقصهم الوطني . وفجأة رأيت صلاح سالم يقفز إلى وسط هذه الحلقة ويبدأ في خلع ملابسه ، وواريت رأسي خجلاً ولم ألبث أن سمعت صياحه وتهليله كما يصيحون ويهللون ، وسمعت صوته يناديني لأنضم إليه .

وتظاهرت بأنني لم أسمع ، ولكنه عاد يناديني ويلح ، وأدرت جانباً من وجهي بحساب لأراه وهو يرقص مع الأهالي العراة ، ولكنه قد أبقى ملابسه الداخلية وخلع الخارجية فقط حمداً لله .

وانضممت لحلقة الرقص ، ولكن بملابسي كاملة ، فلم يكن جسمي ليصلح للإستعراض حتى بملابسي الداخلية !

عم حسن .. والملوك

« حسن أحمد » المشهور باسم « عم حسن » عجوز طاعن في السن هو أقدم العاملين في كلية فيكتوريا بالاسكندرية وهو يشتغل فراشاً في هذه الكلية القديمة العنيدة منذ نصف قرن .

وكلما اجتمع خريجو الكلية في الحفل انتقليدي السنوي الذي تدعوهم إليه رابطة خريجي كلية فيكتوريا سألوا عنه والتفوا حوله يتذاكرون الماضي خلال سنوات دراستهم بالكلية ويتذاكره معهم .

وفي الإجتماع الذي أُقيم في مطلع شهر سبتمبر / أيلول سنة ١٩٨٨ الذي دُعي إليه « الملك حسين » ملك الأردن و« الملك سيمون » ملك بلغاريا و« الملك قسطنطين » ملك اليونان السابق من ملوك العروش والتيجان وكانوا أولياء عهد وقت دراستهم . كما دُعي « عدنان خاشقجي » و« كمال أدهم » من ملوك المال والأعمال و« عمر الشريف » من ملوك السينما ، وكانوا أيام دراستهم بالكلية في دور التفريخ أبناء رأسماليين كبار .. في هذا الاجتماع وبعد أن التقى « عم حسن » بالضيوف الكبار تلاميذ الأمس ، سألته عن رأيه فيهم . قال لي عن الملك حسين :

- إنه متواضع جداً كان يسر مني لأنني أُخاطبه بقولي : « حضرتك » بينما الجميع ينادونه بقولهم « سموك » .

وعن الملك سيمون قال لي :

ـ علمته اللهجة العامية المصرية .. كان يدرس العربي وأترجمه له إلى العامية .

وقال عن الملك قسطنطين :

ـ كان حزيناً دائماً يميل إلى العزلة والإنفراد بنفسه وكثيراً ما فاجأته يبكي وكأنما يحس أو يتنبأ بالمستقبل .

وعن عمر الشريف قال :

ـ طول عمره بيمثل .. كان بيقلد المدرسين ويضحك زملاؤه عليهم .

وسألته عن رأيه في عدنان خاشقجي فقال :

ـ طول عمره بخيل .. أمال عمل المليارات إزاي ؟!

قلت :

ـ وكمال أدهم ؟

فأجاب :

ـ شرحه .

وسألته آخر سؤال :

ـ لو عدت إلى شبابك وكان لك الخيار أن تعمل في أي مهنة ، فماذا كنت تختار ؟

وأجاب على الفور :

ـ فراش زي ما أنا كده .. كفاية إني خدمت ملوك وأمراء .. وكفاية إني خدت نيشان من الملك حسين ما كنتش أحلم به لو اشتغلت أي شغلة ثانية .

في الحبشة :

سر طول عمر هيـلاسيلاسي

« هيلا سيلاسي » امبراطور الحبشة السابق الـذي خلعته الثـورة عمّر حتى تجاوز المائة   فما هو السر ؟

السر أفصـح لي عنـه ولي عهـده « أصفـا وصن » . . كتـاب سحـر منقولاً باللغة القبطيـة عن أوريا من الـبردي التي تؤلف كتاب السحـر عند الفراعنة   وقد أهداه إليه راهب من رهبان أحد أديرة الحبشة .

هذا الكتاب هو سر قوة بنيان هيلا سيلاسي وإكتمال صحتـه رغم أنه كـان نحيفاً واعـتزازه بهذه الصحـة وزهوه بهـا لدرجـة أنه عنـدمـا أراد أن يستأنس حيواناً يقبع عند قدميه استأنس أسداً

وهو سر طول عمره . وسألني ولي العهد :

ـ هل تصدق ؟

ـ بالطبع لا

ـ إذن بمـاذا تعلل إكتمال صحـة أبي وعدم شكـواه من أي مرض في يوم من الأيام ، وبماذا تعلل سيطرته على الأسد الذي يلازمه . . إنـه ليس أليفاً معه فقط ، بل أيضاً مع كل زواره لا يمسهم بسوء .

ـ هل تصدق أنت ؟

ـ طبعاً وسأهديك هدية خذ .

ـ ما هذا ؟

ـ رجل أرنب محنطة . . احتفظ بها فسوف تجلب لك الحظ .

* * *

وانتهت رحلتي في الحبشة وركبت الطائـرة في طريق العـودة ، ورجل الأرنب في جيبي وحصـل عطب بـالطائـرة كاد يؤدي إلى سقـوطهـا لـولا عناية الله وقضيت بعد ذلك عـام نحس كامـل لازمني خلالـه سوء الحظ في كل خطوة أخطوها وكل عمل أقوم به .

وأخـيراً تذكـرت وكنت قد نسيت أن « رجـل الأرنب » التي أهـداني إياها ولي عهد الحبشة ما زالت في جيبي أسرعت فرميتهـا في النيل . . وفي صباح اليوم التالي قرأت في الصحـف أن جثة غريق مجهـول قد طفت عـلى ماء النيل في نفس المـوقـع الـذي رميت فيـه « رجـل الأرنب » !

أسطـورة الحـديد

لم أستقبـل في بلد خلال رحـلاتي العديـدة حول العـالم كما استقبلني « برونو كرايسكي » مستشار النمسا في ڤيينا في زيارتي الأولى للنمسا ، فقـد أمر بأن أكون ضيفاً على الرئاسة ، وأن أنزل في فندق أمـبريال حيث ينـزل الضيـوف الكبـار من ملوك ورؤسـاء ومشـاهـير كـما اختـار بنفسـه لمـرافقتي « الدكتور وولف » الاستاذ العالم وأحد كبار مـوظفي الرئـاسة ، وفـوق هذا وضع تحت تصرفي سيارة رولزرويس فارهة فاخرة لاستخدامها في تنقلاتي .

واستقبلني « كرايسكي » في مكتبه في قصر الرئاسـة استقبالاً حفيـاً وبدأ حديثه معي بتعريفي ببلاده تعريفاً لطيفاً موجـزاً ومع ذلـك شامـلاً ، قال لي :

ـ كانت امبراطورية النمسا والمجر ـ حتى سنة ١٩١٨ ـ مملكة ضخمـة في بطن أوروبا كانت ثانية الدول الأوروبية في مساحتها ، وثالثتهـا في عدد السكـان . ثم انهارت هذه الامـبراطـوريـة عقب الحـرب العـالميـة الأولى ، فانسلخت عنها المجـر وأصبحت دولة مستقلة وانسلخ منهـا شطر آخـر غني بمنـاجم الفحم وانضم إلى دولـة جـديـدة ظهـرت في الـوجـود أسمهـا « تشيكوسلوفاكيـا » . وبقيت النمسا دولـة صغيرة تتنـازعها الأهـواء إلى أن استـولى عليها « هتلر » وضمهـا إلى بـلاده . دون أن يسلم من نقـد الألمـان أنفسهم ، الذين قالوا يومئذٍ : « إنه أضاف إلى أعبائنا عبئاً جـديداً . . إن

علينا أن نطعم هؤلاء الملايين السبعة الذين يسكنون هذه الدولة الفقيرة «النمسا »ولقد كان في هذا القول كثير من الصواب .. وكثير من الخطأ أيضاً وكان شعب النمسا فقيراً حقاً ، ولم تكن هناك طاقة لتوليد القوى المحركة ، ولم يكن يخطر ببال أحد أن هناك بترولاً أما الفحم فقد ذهب إلى « تشيكوسلوفاكيا » .

ويقطع « كرايسكي » حديثه ريثما تقدم لنا سكرتيرته عصير التفاح مع سلة مليئة بما لذ وطاب من فاكهة النمسا ، وشربت العصير . واعتذرت عن الفاكهة فقال لي مضيفي :

ـ لا بد أن تأكل من فاكهتنا .. إن من يأكل منها مرة لا بد أن يعود إلينا تماماً كما تقولون عن ماء النيل عندكم من شرب منه مرة فلا بد أن يعود إليكم . وأكلت من فاكهة النمسا (وبالفعل عدت إليها مرة أخرى وثالثة) . وواصل كرايسكي حديثه الجذاب عن بلاده قال لي :

« وقعت الحرب العالمية الثانية ، وخلصت بعدها النمسا وانسلخت عن جسد ألمانيا وهنا حدثت المعجزة المعجزة النمساوية .. استغلت مساقط الألب ومساقط الدانوب ، فتوفر للنمسا من القوى الكهربائية ما يفيض عن حاجتها وأخذت تصدر هذا الفائض إلى أوروبا . وكانت هناك محاولات دامت ثلاثين سنة للبحث عن البترول . ولكن الرأي الراجح كان يقول دائماً إنهم يبحثون عن لا شيء .. وفجأة تفجر البترول مدراراً وأصبحت النمسا الدولة الوحيدة في غرب أوروبا التي تنتج من البترول ما يفيض على حاجتها .

ويستطرد كرايسكي في حديثه قائلاً :

ـ وعدنا إلى كنوز الأرض القديمة ننبشها فتألقت خامات المعادن الواحدة بعد الأخرى وازدهرت الحياة في النمسا من جديد ، ودارت الآلات وتصاعد دخان المصانع ، وأصبحنا الآن ، حمداً لله ، من أغنى الدول الأوروبية زراعة وصناعة وفناً وثقافة

وسكت ثم أضاف :

ـ . . . وخلقنا أيضاً . . وأستطيع أن أقول صادقاً إننا ننافس اليوم باريس بعد أن أصبحت، ڤيينا عاصمة ثانية للفن والثراء والجمال في العالم .

وسكت مرة أخرى ثم استطرد يقول :

ـ ولكن شيئاً واحداً كان يقف في وجه سعادتنا . . شيء أثمن من كل هذه الثروات شيء اسمه الحرية كانت قوات الإحتلال الأربع المتحالفة الفرنسية والانكليزية والأميركية والروسية ترابط في أراضينا منذ نهاية الحرب ولم نطرق باباً من أبواب الأمل إلا طرقناه لإنهاء هذا الإحتلال وأخيراً لجأنا إلى الباب الكبير . . الباب الواسع الرحمة الحياد . وكان هذا هو الحل السيد للمشكلة ووقعنا مع قوى الإحتلال الأربع « معاهدة الدولة » التي تنص على جلاء القوات الأجنبية عن النمسا ، على أن نقف موقف الحياد الرسمي من المعسكرين اللذين تخاصما بعد الحرب. . فلا ننتصر لهذا أو ذاك . وها نحن اليوم نعيش في فردوس الحياد

وينهي كرايسكي الحديث بقوله

ـ وبعد أن أنقذنا الحياد من مشكلتنا السياسية ، حشدنا كل قوانا لتنمية إقتصادنا عن طريق الزراعة الآلية والتصنيع . ولعلمك إننا نتخير سفراءنا من رجال الإقتصاد الخبراء .

وجاءت السكرتيرة بفنجاني القهوة قهوة تركي لا فرنسي ، وكانت لفتة لطيفة من مضيفي أن يقدم لي القهوة التي اعتدت شربها في بلدي .

واستأذنت في الإنصراف فاستبقاني كرايسكي وقال لي :

ـ سأحكي لك أسطورة جميلة شائعة عندنا .

وانطلق يحكي لي الأسطورة ، قال :

« مؤدى هذه الأسطورة أن عفريتا خرج من الماء في أحد ربوع

التمسا منذ زمان بعيد ، فنشر وباء الطاعون في البلد وطارده الفلاحون حتى ظفروا به وحبسوه في قمقم . . وتوسل العفريت إليهم أن يطلقوا سراحه ، وقال لهم

- إن فعلتم هذا ، فإني أجزيكم عن حريتي خيراً

قالوا له :

- وماذا عندك من الخير؟

قال :

- أعطيكم من الذهب ما يغنيكم عاماً كاملاً ، أو أعطيكم من الحديد ما يكفيكم العمر كله

وكان أهل النمسا شطاراً فاختاروا الحديد ، وفتحوا القمقم وأوفى العفريت بالعهد ، ومنحهم منجم الحديد في « جبل أيرزبرج » وهو أكبر منجم حديد تطفو خاماته على سطح الأرض في أوروبا كلها

* * *

وبعد أن استمعت لأسطورة الحديد من كرايسبكي سُمح لي بالإنصراف . وخرجت من عنده وفي أذني رنين رائعة شتراوس الخالدة « فالس الدانوب الأزرق » الذي تتردد نغماته في كل بيت وفي كل إذاعة وفي جميع أنحاء العالم . . ومن العجيب أن نهر الدانوب الذي يشق ڤيينا ليس في مياهه شيء من الزرقة . . ولكن أنامل شتراوس صانع الفالس الدانوب الأزرق هي التي خلقت حول النهر الطامي هذه الموسيقى التي تستهوي القلوب ، وتجتذب إلى النمسا ملايين السائحين من كل فج عميق .

في تركيا :

متى يسمع
عصمت إينونو ؟

وفي أول رحلة لي إلى تركيا حرصت على مقابلة « عصمت إينونو » رئيس الجمهورية المتقاعد ، وتوأم مصطفى كامل في حروبه وفي حركته الإصلاحية . وسافرت من استامبول إلى « أنقرة » حيث يقيم خصيصاً من أجل هذا اللقاء

وذهبوا بي إلى بيتٍ كبير في وادٍ يتاخم الهضبة التي أُقيم عليها ضريح مصطفى كمال أو « أتاتورك » بمعنى « أبو الأتراك » كما يحرص الأتراك على تسميته وقلت لمرافقي مندوب وزارة الخارجية التركية ، إذ كانت الدعوة لزيارة تركيا موجهة من هذه الوزارة ، قلت له :

ـ لِمَ اختار عصمت إينونو هذا الوادي المنخفض لبناء قصره ، وأمامه هضاب أخرى بارتفاع الهضبة المقام عليها ضريح أتاتورك وربما أعلى ؟

وأجابني المرافق :

ـ ربما تواضعاً منه حتى لا يعلو مقامه إلى مقام أتاتورك أو يرتفع عنه .

وشاء إن يضيف إلى جوابه إضافة ذكية :

ـ ثم لا تنسى أن دار الفناء ينبغي ألا ترتفع عن دار البقاء .

وفي انتظار « عصمت إينونو » في غرفة مكتبه بالقصر قلت للمرافق

ـ سمعت أن عصمت إينونو قد ضعف سمعه إلى حد العدم تقريباً ؟

ورد المرافق ضاحكاً

ـ إنه يسمع متى يريد ولا يسمع عندما يريد .

ـ كيف ؟

ـ ستعرف عندما توجه إليه أسئلتك . . إذا أعجبه سؤالك أجابك عليه فوراً ، وإذا لم يعجبه لم يجب وإلتزم الصمت متظاهراً بأنه لم يسمع

* * *

وجاء الزعيم التركي العجوز . . وكانت نسبة الصمم في حديثه معي ٥٠٪ أجاب على نصف أسئلتي وصم أذنيه عن النصف الآخر .

وعندما عدت من رحلتي إلى القاهرة نشرت الأسئلة التي أجاب عنها فقط واليوم أنشر الأسئلة التي صم أذنيه عنها

١ ـ ماذا استفدت من رفقة مصطفى كمال ؟

٢ ـ بماذا تصف مصطفى كمال العسكري المحارب ، وبماذا تصف مصطفى كمال السياسي المناضل ؟

٣ ـ كنت صديقاً لمصطفى كمال ورفيقاً في السلاح وشريكاً في الحكم ألم تختلف معه في مرحلة من هذه المراحل ؟

٤ ـ عندما تفتح نافذتك كل صباح على قبر أتاتورك أعلى الهضبة المتاخمة ، ماذا يكون شعورك وماذا تقول لنفسك ؟

٥ ـ أيهما خيراً وأبقى الصداقة أو رفقة السلاح أو نضال السياسة ؟

٦ ـ ما أكثر شيء ندمت عليه في حياتك ؟

٧ ـ كيف ترى مستقبل تركيا ؟

٨ ـ ألم تعارض أتاتورك أي معارضة في استبدال، تركيا الثوب الشرقي بالثوب الغربي ؟

٩ ـ رأيك في نفسك كمحارب ثم كسياسي ؟

١٠ ـ ثم رأيك في نفسك كإنسان ؟

* * *

ترى لو كان « عصمت إينونو » أجاب على هذه الأسئلة العشرة ولم يصم أذنيه ماذا كان يقول ـ إنني أتصور إجابته على هذا النحو :

١ ـ استفدت من رفقة مصطفى كمال الصدق في القول والإخلاص في العمل

٢ ـ أصف مصطفى كمال العسكري المحارب كما أصف مصطفى كمال السياسي المناضل بأنه كان في كلتا الحالتين صلب العود ومثابراً حتى آخر رصاصة .

٣ ـ اختلفنا كثيراً ، ولكننا كنا نؤمن معاً أن الخلاف لا يفسد للود قضية

٤ ـ آن للمحارب أن يستريح

٥ ـ كلها خير وأبقى منفردة أو مجتمعة

٦ ـ لم أصل بعد إلى مرحلة الندم

٧ ـ أتمنى أن يكون مستقبل تركيا كحاضرها وليس ماضيها

٨ ـ لم أعارضه لأنني كنت أرى مثله ضرورة هذا التغيير وجوهريته .

٩ ـ الأفضل أن توجه هذا السؤال إلى الناس . . عامة الشعب .

١٠ ـ التزمت بالفضائل التي أمر بها الله بقدر ما استطعت وابتعدت عن

الرذائل التي نهى عنها الله بقدر ما استطعت .

* * *

وانتهت زيـارتي لعصمت إينونـو . . واستأذنتـه في الإنصراف فأذن ، وودعتـه ببعض الكلمات التي أسعفني بها لسـاني وأجابني بـاقتضاب شـاكراً وعندما قلت له في النهاية :

- إنني أتطلع إلى زيارة أخرى لك .

لم يجب وصم أذنيه

أنقذت الكونت
برنادوت من الموت

في مطلع شهر أغسطس / آب سنة ١٩٤٨ ذهبت في مهمة صحفية إلى ليبيا ونزلت في مطار بنغازي وقدمت جواز سفري لضابط الجوازات فقلبه بين يديه ثم نظر إلى صورتي في الجواز وراجعها باشمئزاز واحتقار على صورتي على الطبيعة وقال لي من طرف لسانه :

- ممنوع

ورددت بدهشة :

- ممنوع ماذا ؟

- أنت ممنوع .

- ممنوع من ماذا ؟

- من دخول ليبيا

- لماذا ؟

- أمر المتصرف .

- وما هو السبب ؟

- لانك صحفي

ـ وهل هذا سبب لمنعي دخول ليبيا ؟

ـ إسأل زميلك الصحفي السعدني

وأدركت للتو ما يقصده كان الزميل محمود السعدني قد سبقني في رحلة إلى ليبيا ، وأساء متصرف بنغازي لقاءه فأمطره بلسانه اللاذع الفكه نقداً وتهكماً

وسألت ضابط الجوازات الليبي

ـ وما ذنبي أنا ؟

ـ هذه هي الأوامر . . أي صحفي مصري ممنوع من الدخول

ـ أما من وسيلة تمكنني من الدخول ؟

ـ لا

ـ وماذا أفعل الآن ؟

ـ تعود على أول طائرة ذاهبة إلى القاهرة

وعبثاً حاولت الإهتداء إلى وسيلة لدخول بنغازي وسلمت أمري لله وقررت العودة إلى مصر . . ولكنني صدمت بأنه لا توجد طائرات لمصر قبل ظهر الغد . . وكان عليَّ أن أبيت في المطار ، فوضعوني في أحد مكاتب المطار تحت الحراسة دون أن يقولوا لي كيف أنام على المكتب أو على الأرض . . واخترت أن أظل جالساً على الكرسي الوحيد الموجود في الغرفة وأمري لله وقضيت ليلتي شارداً ألعن المتصرف وتصرفه .

وكان الله لطيفاً رفيقاً بي إذ وصل إلى المطار « الكونت برنادوت » ابن عم ملك السويد وأول وسيط للأمم المتحدة في الشرق الأوسط . وكانت مأساة فلسطين قد بدأت وقامت الحرب بين العرب وإسرائيل وكان الكونت برنادوت قد هبط في مطار بنغازي ليقضي يوماً وليلة في بنغازي في طريقه إلى القاهرة وكانت طائرته تابعة للأمم المتحدة تنتظره

في المطار . . فلما وصل طلبت منه أن يسمح لي بالسفر معه على طائرته إلى القاهرة وأفهمته موقفي مع المتصرف فرحب بي وصعدت معه إلى طائرتـه ، وأقلعت بنا ، وما كادت تعتدل في سماء مطار بنغـازي وتأخـذ مسارهـا إلى القاهرة حتى صحت مذعوراً

ـ آخ

وسألني الكونت في قلقٍ وكنتُ أجلس إلى جانبه

ـ ماذا بك ؟

ـ نسيت جواز سفري مع ضابط الجوازات

وضحك الكونت وقال لي

ـ هون عليك

ـ مشكلة .

ـ سوف تحل

كيف ؟

ـ سنهبط مرة ثانية في بنغازي

ـ من أجلي لا شكراً يا سيدي الكونت . . سأتحمـل عواقب نسياني .

ـ لقد نسيت أنا أيضاً شيئاً شيئاً هامـاً جداً صـورة أمي . . إنها لا تفـارقني ودائمـاً أضعهـا عـلى الكـومـودينـو بجـانب سريـري أينـما ذهبت . . إنها تحـرسني كما كـانت صاحبتهـا ملاكي الحـارس في حياتهـا ، وصدقني إنني أتشاءم جداً إذا ما فقدتها

* * *

وهكـذا هبـطنـا مـرة أخـرى في مـطار بنغـازي ، واستعـدت جـواز

سفري ، وعثر الكونت على صورة أمه

ولكن قدر لنا ألا نقلع بالطائرة يومئذٍ ، فقد جاء قائدها يبلغ الكونت أنه اكتشف وجود قنبلة زمنية في الطائرة كانت ستنفجر بعد طيراننا بها

وتقرر أن نبيت ليلة أخرى في بنغازي حتى ينتهي التحقيق في المؤامرة ولكنني لم أبت تلك الليلة ساهراً ساهداً في المكتب مثل الليلة السابقة ، بل بتها في قصر الضيافة في بنغازي مستريحاً ناعماً بنوم هادىء . . فقد دخلت بنغازي بأمر برنادوت ورغم أنف المتصرف .

ومن عجائب القدر أن الكونت برنادوت الذي كُتبت له النجاة في هذه الرحلة اغتيل في سبتمبر / أيلول من نفس العام . . اغتالته عصابة شتيرن الإسرائيلية

ترى . ، هل نسي صورة ملاكه الحارس يوم اغتيل ؟

سر الوردة الحمراء
على قبر السلطان

هو « صاحب السمو الملكي الأمير السلطان محمد شاه آغا خان الثالث » المشهور باسم آغا خان . . . وكانوا يقولون عنه إنه أغنى أغنياء العالم .

وهي « إيفيت لابروس » عاملة في محل للأزياء في ليون بفرنسا ، وملكة جمال فرنسا سابقاً ، ومشهورة باسم « أم حبيبة » أو « البيجوم » .

وكان آغاخان زعيماً للطائفة الإسماعيلية المنتشرة في أرجاء العالم ، وكانوا يزينونه بمعدن من المعادن النادرة . وزنوه في عيد ميلاده البرونزي بالبرونز ، وفي عيده الفضي وزنوه بالفضة ، ووزنوه بالذهب في عيد ميلاده الذهبي ، ووزنوه بالبلاتين في عيد ميلاده البلاتيني . . ولو عاش لعيد ميلاده الماسي لوزنوه بالماس . . وكان تعليقه على وزنه بالمعادن النادرة :

- إنني أحس عندما يزنّي أهل طائفتي بهذه المعادن النادرة إنني أكثر قيمة منها . . فالأرض قد تحوي آلاف الأطنان من هذه المعادن ولكنها لا تحوي سوى رجل واحد يوزن بها .

* * *

في مطلع صيف سنة١٩٥٥ كنت أجلس إلى « البيجوم » في حديقة الفيلا الجميلة المطلة على النيل في الشاطىء المقابل لفندق كتاراكت في

أسوان تقص قصة حياتها مع آغاخان وكان هـو معنا في مـدخل القيـلا الثاني في الطرف الآخـر من الحديقـة كان هنـاك ميتاً محنـطاً مسجى في نعش ينتـظر إكتمال اللمسـات الأخيرة في بنـاء ضريحـه الضخم أعـلى التـل المتاخم للقيلا ، فقد كانت وصيته أن يُدفن في « أسوان » البلد الذي يحبـه ويؤثره عن أي بلدٍ آخر في العالم ولعل السبب أنـه كان يـأتي كل شتـاء إلى مصر ليقضيه في دفء أسوان كان ينزل من الطائرة محمـولاً على كـرسي طبي في مجيئـه ويسرع الخـطى عـلى قـدميـه مسـابقـاً ركـاب الـطائـرة للمسـافرين معـه في عـودتـه كـأن في جـو أسـوان سحـراً وسراً يشفي السلطان العليل من علته وتقضي على عجزه من الوقوف والمشي . . ولذلك بنى القيلا في موقعها الجميل الفريد ليقضي فيها شتاء كل عام وقد اقتفت البيجوم أثره بعد موته في قضاء الشتاء في أسوان

كانت وصيته الأولى لزوجته « أم حبيبـة » وهو عـلى فراش المـوت أن يُدفن في أسوان . وكانت وصيته الثانية لها قبل أن يلفظ أنفاسه على فراشه في قصره الجميل « لاريفيرا » في ضواحي جنيف كما أوصاها : .

ـ يـوم موتي فقط البسي ثـوب الحداد الأسـود ، ثم اخلعيه في اليـوم الثاني مباشرة وعودي إلى ثيابكِ الزاهية الألوان الجميلة التي أراكِ بهـا دائماً فإنني أحبها وسأظل أحبها وأنا في قبري

وكانت هناك وصية ثالثة أن تضع كل يوم وردة حمـراء على قـبره مثل التي كانت تغرسها كل يوم في عروة سترته

حدثتني البيجوم عن هذه الوصية وقالت لي : .

ـ مات زوجي ونفذت وصاياه الثلاثة ونفـذت معها وصيـة رابعة لم يوصني بها زوجي عليَّ الوفاء لذكراه ما حييت .

* * *

وكانت البداية في شتاء سنة ١٩٤٣ والحرب العالمية الثانية لم تنطفىء

شعلتها بعد على شاطىء الكوت دازور ، شاطىء الدفء والشمس المشرقة وفي مطعم صغير اسمه « ريجنت » يقبل عليه الأغنياء لمهارة طاهيه ، ويتردد عليه متوسطو الحال لاعتدال أسعاره ، وكانت تجلس فتاة تتناول طعام الغداء وحدها إذ كانت منصرفة إلى الطعام وكأنها في مكان لا يشاركها فيه أحد ، لا تكاد تحس بمن حولها ، وأتى رجل عجوز أشيب الشعر ، أسمر الجلد ، بدين يميل إلى القصر ، يغطي عينيه بنظارة زرقاء ، يظهر عليه وقار علية القوم ، وجلس إلى المائدة المجاورة لمائدة الفتاة ، وكان ظهره إلى ظهرها ، وهو يتناول طعام الغذاء وحده هو الآخر . وكان من الممكن أن يفرغ كل منهما من طعامه وينصرف حال سبيله ، لو لم يقع حادث ظريف أدى إلى تعرفهما . . وكانت مونيك الجرسونة الحسناء هي السبب .

فقد ابتسم شاب من الزبائن لمونيك ابتسامة ماكرة ، وغمز لها بعينيه وهي تقترب منه وقال لها بصوت مسموع

ـ يوم جميل يا حلوة .

فأجابته مونيك بسرعة وبصوتٍ مسموع أيضاً :

ـ نعم يا سيدي إنه يوم جميل وهكذا كان أمس ، وأول أمس . وإسمي « مونيك » . وأنا أعلم إني جميلة وأن لي عينين زرقاوين وشعراً ذهبياً ، وأعمل هنا منذ مدة طويلة ، وأنا راضية عن عملي ، ولا أعتقد إنني أستحق عملاً أحسن ، كما إني قانعة بمرتبي ، ولا أستطيع أن أصحبك إلى مرقص أو سينما لأنه ليس عندي وقت موطني مرسيليا . وأبي طباخ هنا ، وكان ملاكماً محترفاً ، وفي الأسبوع الماضي كاد أن يقضي على شاب مثلك لأنه حاول أن يأخذ مني موعداً والآن ماذا تطلب مني يا سيدي ؟

واستدار الشيخ والفتاة في نظرة وضحكة ، على هذا المشهد اللطيف ولم يطلب الشاب العابث شيئاً ، بل قام بسرعة وغادر المكان

وهو غارق في بحرٍ من الخجل وبعد أن انصرف قال الشيخ للفتاة

ـ لطيفة هذه الفتاة الشقراء

ـ مونيك ؟

ـ هل تعرفينها ؟

ـ أنا زبونة في هذا المطعم ، وأعرف كل من يعمل فيـه لقد جئت هنا مراتٍ قبل اليوم

ـ هذه أول مرة أجيء فيها . . هل تسمحـين لي بمشاركتـك الجلوس على مائدتك . إنني وحدي كما ترين ؟

وفتحت الفتاة فمها لتجيب ، ولكن الشيخ استطرد يقول لها بابتسامة رقيقة :

ـ وأرجو ألا يكون جوابك كما أجابت مونيك للشاب الذي رحل .

ووجدت الفتاة نفسها تبتسم على الرغم منها وتحني رأسها قائلة

ـ لا مانع عندي تفضل

وهتف الشيخ في فرحٍ ، يستوقف الخادمة الحسناء

ـ مونيك من فضلكِ انقلي طعامي إلى مائدة الآنسة مع إحترامي لكِ ولأبيك الطباخ الملاكم

وكـانت هذه بـدايّة التعـارف التي انتهت بـالـزواج . . بعـد أن بلغ آغـاخان السـادسة والستـين من عمره وفشـل في ثلاث زيجـات . . وبلغت « إيفيت لابـروس » الثـلاثـين ولم تـتزوج بعـد لأنها لم تجـد الـزوج الـذي تتمناه وكان زواجاً موفقاً سعيداً ظـل إلى آخر لحـظة في حياة آغـاخان وتعيش ذكراه إلى اليوم في قلب البيجوم

وقد أسلمت « إيفيت » بعد زواجهـا من آغاخـان ، واختار لهـا اسم « أم حبيبة » .



مع البيجوم أرملة آغاخان وهي تشرف على إتمام بناء قبر غا خا.

سألتها :

ـ لماذا كان هذا الحب والوفاء لآغاخان .

ـ لأنه احترمني ورفع من قدري ومنزلتي من مجرد عاملة بسيطة إلى زوجة رجل عظيم له قدره ومنزلته في جميع أنحاء العالم .

وسألت آغاخان نفس السؤال فأجاب

ـ لأنها كرست حياتها لي وهيأت لي سعادة زوجية خيالية، والأهم من ذلك أنها لم تشعرني يوماً ما بفارق السن ، ولم تجعلني أبداً أحس بأنني رجل عجوز تتنازعه العلل والأمراض .

* * *

وكانت أمنية البيجوم بعد أن أسلمت أن تحج إلى بيت الله الحرام ،

ونذرت أن توفيه في عيد زواجها العاشر في سنة ١٩٥٣ وقررت أن تسافر إلى جدة عن طريق القاهرة ، وقبل أن تغادر القاهرة ذهبت إلى مسجد السيدة زينب لتؤدي فريضة الجمعة . وأترك لها تكملة الحكاية الغريبة كما روتها قالت :

« كان هذا التصرف غير إرادي فإن شيئاً خفياً في أعماقي دفعني إلي وبعد أن أديت الصلاة وسط السيدات في ركنهن قمت إلى المقصورة التي تضم ضريح السيدة زينب ، ووقفت على سور الضريح أقرأ الفاتحة بصوت خافت وأرجو الله أن يتقبل حجتي التي نويتها ، ولما استدرت لأخرج من المقصورة سمعت صوتاً ضعيفاً يناديني :

ـ يا ست . يا ست .

والتفت لأرى مصدر هذا الصوت ، فإذا بسيدة عجوز ضئيلة الحجم محجبة كانت تجلس خلفي ، وظننتها سائلة تطلب صدقة ، ففتحت حقيبة يدي لأخرج منها بعض النقود إلا أنها قالت لي معاتبة

ـ يا بنتي أنا لست متسولة ، أنا أُريد منكِ شيئاً آخر غير النقود .

قلت معتذرة :

ـ ماذا تريدين ؟

فأجابت :

ـ لقد سمعت دعاءك الآن ، وعرفت إنكِ تنوين الحج ، وأُريد أن أحملكِ أمانة ، رسالة لرجل عجوز يقيم في مكة . . رسالة شكر مرفق بها خمسين ريالاً سعودياً فقد مرضت هناك في العام الماضي وأنا أُؤدي فريضة الحج ، واحتجت إلى هذا المبلغ للعلاج ، وتطوع الرجل العجوز الذي عرفته وأنا داخل الكعبة بإقراضي إياه ورفض أن يأخذ مني أي مستند أقر له فيه بدينه . وكنت على موعد هذا العام لأؤدي فريضة الحج للمرة الثالثة ولأرد له دينه ، ولكنني لا أستطيع السفر .

وكشفت لي عن ساقيها الملفوفتين برباط وقالت لي في آسىً

- لقد أصبت بالشلل وأصبحتُ عاجزة عن السير .

وأخـذت منها الـرسالـة والنقود ، وأخـذت أيضاً عنـوانها بـالقـاهـرة لأطمئنها بعد عودتي على تسليم الرسالة لصاحبها

وسافرت وفي أول يوم وصلت فيه مكة سعيت لتوصيـل الرسـالة إلى صاحبها ولكنه كان جثة هامدة مات وأهله حوله لا يجـدون نفقات لدفنه وكانت الخمسون ريـالاً التي أحملها إليـه هي الغوث الـذي بعثته العناية الآلهية في اللحظة المناسبة

وأديت فريضة الحج وعدت إلى القـاهرة . . ولم يفتني أن أبحث عن السيـدة العجوز في عنـوانها الذي أعـطته لي لأطمئنهـا فإذا بي أُفـاجأ بعـدم وجـودها في هـذا العنوان وأنها لم تكن فيـه في يـومٍ من الأيـام ولا حتى في الحي كله

وحتى اليوم ، ما زلت في حيرة من أمر هذه السيدة العجـوز . . هل كانت حقيقة أم خيالاً أروع من الحقيقة ؟ . . وكيفما كان فـإن هذه الـواقعة لا تبرح ذاكرتي أبداً ولا تزال لغزاً يحيرني !

ملوك في المنفى

كـانت مصر وما زالت مـلاذآ ومقرآ للملوك والـرؤساء المخلوعـين . ولعل السبب الرئيسي في اختيار هؤلاء الملوك والرؤسـاء لها هـو عدم وجـود معاهدات بين مصر وغيرهـا من دول العالم لتسليم الـلاجئين السيـاسيين ، فضلاً عن حرية الإقامة وكرم الضيافة المأثورين عنها وكان آخر اللاجئـين شاه إيران السابق محمد رضـا الذي قضى أيـامه الأخـيرة بمصر ومات ودُفن فيها

* * *

ومن بين الملوك الذين إتخذوا من مصر منفاهم ، وأُتيح لي اللقاء بهم فيكتـور عمانـويـل ملك إيـطاليـا الأسبق ، وعنـدمـا زرتـه في محـل إقـامتـه بالاسكندرية وجدته يقتني عدداً كبيراً من الكلاب وقال لي :

ـ إنهم أوفى من الإنسان . . ولذلك جئت بهم معي وتركت حـاشيتي في روما .

واقترب منه كلب من نوع « الشيان لو » وقدمه إليَّ :

ـ هذا بنيتو .

وضحك وضحكت معه وسألته

ـ ولماذا لم تسمه موسوليني ؟

فأجاب

ـ سميت كلباً آخر غيره .

ـ وأين هو ؟

ـ مات .

وكـان رئيس وزراء إيطاليـا وديكتـاتـورهـا المـطلق السلطة والسلطان اسمه « بنيتو موسوليني » كما هو معـروف . وكان سببـاً في الإطاحـة بعرش عمانويل .

* * *

ومن بين الملوك الذين اتخذوا من مصر منفىً لهم « أحمد زوغو » آخر ملوك ألبانيا ، جاء إلى مصر ومعه عدد كبير من شقيقاته وكن متنـاهيات في الجمال وأردت أن اختصهن بتحقيق مصور واستأذنت الملك فرفض وقـال لي في أدبٍ وتواضع متناهيين كان يمتاز بهما :

ـ آسف للرفض لأن ذلك ليس في صالحي

ـ كيف يا صاحب الجلالة ؟

ـ إذا نشرت صورهن في مجلتك فسوف يتقدم للزواج منهن الكثـير ، ولن أستطيع الوفاء بالتزاماتي نحوهن الآن وأنا لا أملك الجاه والمال .

ـ ولكن لا بـــد أن يكـون من يتقــدم إليهن ثـريـاً يضـطلع بهــذه الإلتزامات .

ـ أيليق هـذا بملك . . إنني على أي حـال « ملك » وإن كنت ملكـاً سابقاً .

وسكت الملك لحظة وأضاف :

ـ صـــدقني إن مشكلتي الأولى الآن هي مستقبـل هؤلاء البنـات . . إنني لا أضمن مستقبلهن وكيف أضمنه وأنا لم أستطع ضمان مستقبلي .

وكان الملك يتحدث ببساطة وعفوية كما لو كـان رب أسرة من عامـة الناس مشكلته كثرة بناته وقلقه على مستقبلهن .

* * *

والملك الثـالث في المنفى الذي أتحـدث عنه هـو « أمـان الله خـان » ملك الأفغان السابق ، ثار عليه شعبـه وخلعوه عن عـرشه لمـاذا ؟ لأنه دعاهم إلى انقلاب حضاري يشمل سفور المرأة وتحـرير الـرجل من الجهـل وقيود الماضي ، ومسايرة الإنسـان العصري المثقف المتحضر . وجلست إليه يحدثني بألمٍ شديد وحزن طاغٍ من أزمته مع شعبه ، وقال لي :

ـ أمـر عجيب . منتهى الجهـل أن يثـوروا علـيَّ وأنـا أدعـوهم إلى التحـرر من الجهل .

ـ ربما تعجلتم في تنفيذ خطتكم ؟

ـ ولماذا أبطىء فيها وهم في أشد الحاجة إليها . . لماذا أضيـع عليهم سنوات أخرى وقطار الحضارة ينطلق بسرعة البرق ، فمتى يلحقون به ؟

وقـد بدأ « أمـان الله خان » بنفسـه . . فخلعت زوجته وجميـع أفراد أسرتـه الحجاب . . ولكنهن اضـطررن وهن يغـادرن « كـابـول » عـاصمـة الأفغان صحبة الملك إلى المنفى أن يتحجبن مرة أخرى خوفاً من فتك الثـوار بهن إذا مضين في سفورهن .

ملوك من غير تيجان

- ١ -

« البيجوم لياقت خان » من أسرة محمد علي جنة أول حاكم للباكستان المستقلة وأحد زعماء ثورة الهند البارزين المكافحين المجاهدين ، التقيت بها في جامع واشنطن بعد افتتاحه في آخر الأربعينات ، سيدة جميلة



مع البيجوم لياقت خان في جامع واشنطن

رشيقة أليفة وديعة وتكسو وجهها مسحة من الايمان الوثيق بدينها الاسلامي ويعمر حديثها بذكر الله والصلاة على نبيه سألتها

- ما الذي جاء بكِ إلى جامع نيويورك ؟

فأجابت :

- إن أول ما أزوره من أماكن ومعالم في أي بلدٍ أحل فيه هو المسجد الكبير . . بيت الله لأشكر الله على هدايتي وسلامة وصولي وأسأله السلامة والهداية في ترحالي .

* * *

- ٢ -

« رشيد كرامي » رئيس وزراء لبنان الراحل ، الذي لقي مصرعه في أحداث لبنان المؤسفة على يد طائش خائن ، كان زميلي في الدراسة بكلية الحقوق بجامعة القاهرة وكان صديقاً عزيزاً، ولم تهن هذه الصداقة ولم تضعف منذ بدأت ونحن طالبين بالجامعة حتى وصل إلى كرسي رئاسة الوزارة في بلده ، وكان أصغر رئيس وزراء تولى هذا المنصب في حينها . وكان أبوه « عبد الحميد كرامي » زعيماً لطرابلس ثانية مدن لبنان ، كما كان من أبرز ساسة لبنان وقد تولى رئاسة الوزارة وأدار دفتها بحكمة وحنكة واعتبر عهده علامة بارزة في تايخ لبنان السياسي . وقد إتخذ « رشيد » من أبيه قدوة ومثلاً أعلى وسلك سلوكه العف النزيه الصائب في مضمار السياسة الأمر الذي لم يرق لدعاة الفرقة والتقسيم آخر الأمر وهو يرأس الوزارة في أيام من أدق وأخطر أيام لبنان ، فاغتالوه .

وكان لزاماً عليَّ كلما ذهبت إلى لبنان أن أزور رشيد سواء كان في بيته في بيروت أو في بيت الأسرة بطرابلس مع ما يربطنا من وشائح الصداقة القوية الخالصة التي تصمد للزمان وعواديه وأحداثه

مع المرحوم رشيد كرامي رئيس وزراء لبنان

إسماعيل الأزهري رئيس وزراء السودان السابق

سألت « رشيد كرامي » ذات يوم ونحن على أبواب امتحان ليسانس الحقوق ـ غاية دراستنا

ـ ماذا ستفعل بعد الليسانس ؟

ـ أسير في نفس الدرب الذي سار فيه أبي . . السياسة هذا ميراثه الذي يجب أن أرعاه وأُنميه وأُوفق فيه مثلما وُفق أبي .

ـ ألا تفكر بالإشتغال بالمحاماة .

ـ لا أفضل أن أكون محامياً عن الشعب كله في قضاياه العامة الكبرى ، بدلاً من أن أكون محامياً عن فردٍ من أفراده في قضية خاصة .

ـ السياسة في بلدكم وعرة الطرق صعبة المراس .

ـ لهذا تحتاج لتفرغ وصراع مريرين حتى الوصول إلى النصر أو الهلاك دونه .

وقد عاش « رشيد » يصارع السياسة في بلده ، ولكنه هلك دونها !

* * *

ـ ٣ ـ

« إسماعيل الأزهري » رئيس وزراء السودان السابق ومؤسس حزب الإتحاد السوداني ، وأحد أقطاب الكفاح الوطني ضد الإستعمار البريطاني ، كان يعيش في القاهرة فترة طويلة مبعداً من السلطة البريطانية الحاكمة في السودان . وكان مجلسه الدائم في شرفة فندق شبرد القديم الذي احترق . وكنت أُتردد عليه من وقتٍ لآخر أسمع تعليقه على أحداث السودان المتعاقبة وخططه السياسية وتصوراته للكفاح الوطني . فاجأني ذات يوم بقراءة فنجاني ، وأصاب في قراءته بنسبة النصف وأخطأ في النصف الآخر . وسألته :

ـ من علمك قراءة الفنجان ؟

ـ رجل طاعن في السن من زملاء الكفاح السياسي ورفاق السجن

ـ ألا تعتبر قراءة الفنجان ضرباً من التنجيم ؟

ـ الحقيقة إنه شبه إتصال روحي بين القارىء والمقروء له بحيث يستطيع القارىء أن يرى بوضوح الصور والرسوم التي تتراءى على جدران وقاع الفنجان وأن يفسرها لصاحب الفنجان تفسيراً قد يصيب وقد يخطىء ، فالعلم عند الله

ـ هل تقرأ فنجانك لنفسك ؟

ـ كنت أفعل إلى أن قرأت يوماً أنه ستصلني ورقة تسرني وتسعدني ووصلتني الورقة فعلا وكانت أمراً من الحاكم العسكري البريطاني باعتقالي !

* * *

« الأمير عبد الكريم الخطابي » زعيم ثورة الريف على الإستعمار الفرنسي كان يقيم آخر أيامه في القاهرة وكان يعاني من عدة أمراض سببها الأول الجهود المضنية الشاقة التي كان يبذلها في كفاحه ضد الإستعمار . وقد زرته خلال إصابته بهذه الأمراض ودعيت له بالشفاء فقال لي :

ـ شفائي ليس بالأمر الهام .. المهم أن وطني قد شفي وتحرر من عبودية الإستعمار .

ويضيف :

ـ هذه الأمراض أعدها أوسمة النصر .

* * *

- ٦ -

« الملك فاروق » مدين لهذا الرجل « جيفرسون كفري » بحياته

وزير خارجية مصر في أروقة الأمم المتحدة بنيويورك



مع الأمير عبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف في المغرب

فقد كان « جيفرسون كفري » سفيراً للولايات المتحدة الأميركية في مصر ، وقت أن قامت ثورة الضباط الأحرار في ٢٣ يوليو /تموز سنة ١٩٤٢ ولما حاصرت قوات الجيش الملك فاروق في قصر عابدين حاول الإستعانة بالولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا لمناصرته وإنقاذ عرشه ، واتصل بسفيري البلدين . وكان موقف السفير البريطاني سلبياً بدون إبداء الأسباب . أما « كفري » السفير الأميركي فقد نصح فاروق بالإنصياع لإرادة الضباط الأحرار لأنها تمثل إرادة الشعب ، وأفهمه بأنه لن يستطيع مقاومة المد الشعب يولن تستطيع أي دولة أجنبية مساندته في هذه المقاومة . وعندما أنذر الضباط الأحرار فاروق بالتخلي عن العرش والرحيل من مصر لجأ مرة أخرى مستنجداً إلى الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وكان موقف السفير البريطاني سلبياً هذه المرة أيضاً أما « كفري » السفير الأميركي فقد نصح فاروق مرة أخرى بالإنصياع لإرادة الضباط الأحرار التي تعكس إرادة الشعب والرحيل من مصر . وأقنعه بأنه لن يستطيع أن يفرض نفسه حاكماً لشعبٍ ثائر عليه وعلى الأوضاع المتردية التي تدهورت إليها مصر بسبب فساد حكمه ومظالمه . واستمع فاروق لنصيحة « كفري » وتنازل عن العرش ورحل إلى المنفى .

* * *

- ٧ -

وفي « الأمم المتحدة » المؤسسة الدولية العظمى إلتقيت بثلاثة ملوك غير متوجين في دنيا السياسة العالمية وأنا أمثل دار الهلال مع عشرات الصحفيين القادمين من جميع دول العالم في إجتماعات الجمعية العامة الدورية .

وأول هؤلاء الملوك « الدكتور محمد صلاح الدين » وزير خارجية مصر ورئيس وفدها إلى الأمم المتحدة في دورة الجمعية العامة في سنة ١٩٥١ وكان في ذلك الوقت من أصغر وزراء خارجية العالم سناً ، لذلك كان من أنشطهم وأكثرهم مواظبة على حضور الجلسات ، . وكان

شرفاً مقنعاً في تمثيله لمصر وللعرب بصفة عامة شيئاً واحداً أخذ عليه مندوبي الصحف الأجنبية ، إنه كان يلبس في يديه قفازاً ولا يخلعه عند مصافحته لهم ، ووصفوه بأنه متكبر ومتعجرف وتضايقت إذ سمعت منهم هذا الوصف الظالم لصلاح الدين وأنا أعلم تماماً أنه متواضع جداً ؛ ولم أجد سبيلاً لنفي التهمة عنه إلا أن أصارحه بالأمر وأسأله عن قصة القفاز ولماذا لا يخلعه عندما يصافح من يصافحه . . وفعلت وابتسم صلاح الدين وقال لي :

ـ الحقيقة أن عندي حساسية في الجلد ، وأتقي ثورتها بلبس القفاز وإتهامي بالتكبر والعجرفة أهون عليَّ بكثير من آلام ومتاعب الحساسية !

وقد استلفت صلاح الدين الأنظار بنشاطه ونظام حياته فهو لا يسهر ولا يدخن ولا يشرب الخمر . . كل ما كان يشربه في الحفلات التي يُدعى إليها أو يدعو لها هو عصير البرتقال أو عصير الطماطم واستلفت الأنظار أكثر بابتسامته اللطيفة التي لا تفارق شفتيه أبداً وقد وصفت لي هذه الإبتسامة « مسز دوجلاس مور » إحدى الصحفيات البارزات بقولها :

ـ لقد زرت مصر في الشتاء الماضي وابتسامة وزير خارجيتكم الدائمة ابتسامة مشرقة تذكرني بإشراقة شمس مصر التي لا تغيب .

* * *

- ٨ -

والملك الثاني غير المتوج في الأمم المتحدة هو المرحوم الدكتور محمود فوزي وزير خارجية مصر ورئيس وزرائها ورئيس وفد مصر في الأمم المتحدة السابق شخصية دبلوماسية سياسية دولية حظي بتقدير العالم كله رأيت في جلسات الجمعية العامة ورؤساء وفود الدول العظمى أتشيسن ، فيشنسكي ، بيفن ، شومان ، ينهضون من مقاعدهم ويذهبون إليه في مقعده لتحيته ومصافحته .



مع الدكتور محمود فوزي رئيس وزراء مصر
وقت أن كان مندوب مصر الدائم في الأمم المتحدة

ووقت أن رأيته لأول مرة كان يشغل منصب ممثل مصر الدائم ورئيس وفدها في الأمم المتحدة . وكان أول حديث صحفي أظفر به منه في سيارته في طريقنا إلى مكتب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة الكائن بالطابق ٦٣ في الشقة رقم ٦٢٠١ « بالأمباير ستيت بيلدنج » أعلى ناطحات السحاب في نيويورك وأعلى بناء في العالم كله على الإطلاق . وكان يقود سيارته بنفسه ، فقد كنا في يوم أحد ، وسائقي السيارات الخاصة في أميركا يحصلون على عطلة الأسبوع مهما اشتدت حاجة أصحاب السيارات إليهم ووصلنا إلى ناطحة السحاب . وكانت الشوارع حولها مزدحمة بالسيارات ، وقال لي الدكتور فوزي :

ـ مفيش مكان للعربية

وأشرت إلى مكان خالٍ فقال

ـ لا هذا مكان محطة الأوتوبيس ، وغير مسموح بالوقوف فيه . . هذه مخالفة مرور .

وأشرت إلى مكان آخر فقال :

ـ لا هذا مكان حنفية الحريق وغير مسموح أيضاً بالوقوف فيه . . هذه أيضاً مخالفة مرور .

ـ ولكنني أرى سيارات تقف فيه وقد رأيت طول الطريق سيارات تقف في مثل هذين المكانين . . قد تغتفر المخالفة في يوم الأحد ؟

ـ قد يغفرها البوليس فعلاً وقد يغفرها لي لأن سيارتي تتمتع بالحصانة الدبلوماسية ، ولكنني لا أغفرها لنفسي ولا أستغل الحصانة الدبلوماسية أبداً

وظللنا ندور بالسيارة حول « الأمباير ستيت بيلدنج » نحو ثلاثة أرباع الساعة حتى خلا مكان لها .

* * *

وتعرفت أيضاً إلى « رالف بانش » مساعد السكرتير العام ، ووسيط الأمم المتحدة ورئيس مجلس الوصاية السابق وهو أول زنجي إرتقى إلى أرفع مناصب دولة في الولايات المتحدة الأميركية ونال جائزة نوبل للسلام قلت له بعد التعارف :

ـ لعلك أول زنجي يُرقى كل هذه المناصب سواء في حكومة الولايات المتحدة الأميركية أو في الأمم المتحدة ؟

فأجاب :

ـ إنني أميركي عريق ، أكثر عراقة من ملايين المهاجرين والمستوطنين الذين يتمتعون الآن بالجنسية الأميركية

وسألته بدهشة

ـ كيف ؟

فأجاب :

ـ إن كان أبي زنجياً فإن أمي من الهنود الحمر أهل أميركا الأصليين

وسرح بفكره قليلاً عندما هنأته بجائزة نوبل ثم قال لي :

ـ إنه مجرد حظ الحظ وحده الذي خدمني في جميع أدوار حياتي ، بعد أن تيتمت من أبواي وأنا في الثانية عشرة من عمري . . فلولا أصدقائي وزملائي في فريق الباسكت بول الذين جمعوا لي ١٠٠٠ دولاراً من مصروفهم الخاص وأدخلوني جامعة « هارفارد » حتى نلت فيها درجة الأستاذية في الأدب لما كنت ما أنا عليه اليوم إنني مدين لهؤلاء الأصدقاء بكل شيء .



مع رالف بنش أمين مساعد للأمم المتحدة

كنت المدعو الوحيد
على مائدة ملك السينما

الليلة من ليـالي الشتاء القـارصة الـبرد ، وعلى الأخص في لنـدن في أواخر الأربعينات ، وكنت من بين المدعوين من قبل شركة الخطوط الجوية البريطانية في إفتتاح خطها الجديد بين لندن ونيويورك بـالطائـرات الجديـدة « سـتراتوكـروزر » ذات الطابقـين ، وشاءت الشركـة العتيدة أن تبـالـغ في إكرامها للمدعوين فأنزلتنـا في فندق « سـافوى » أقـدم وأعظم فنـادق لندن حيث ينزل الملوك والأمراء والرؤساء والأثرياء .

وعدت إلى الفندق ليلتها بعد جولة عمل . ومعي عشائي . . عشـاء خفيف يغنيني عن عشـاء الفنـدق الـدسم الثقيـل ، ونـويت أن اعتكف في غرفتي ، وكانت في الحقيقة جناحاً يشمل غـرفة نـوم وصالـون استقبال . . وقلت : أقضي مـا بقي من الليل في دفء الغـرفة وأشغـل نفسي بـالقـراءة والكتابة . . وبدأت بالعشاء أولاً وأمسكت بالكتـاب الذي اشـتريته في الصباح ، وكان من كتب ويلز عن الخيال العلمي . . ولكنني لم أجد رغبـة في القراءة فنحيت الكتاب أيضاً جانباً

ولم يبقَ غـير الكتـابـة وأمسكتُ بـالقلم أكتب رسـالـة للمصـور فعصاني ، ونحيت القلم أيضاً جانباً .

كـانت مـوجـة ضيق ورأيت أن أتـرك الغـرفـة وأنـزل إلى صـالـون الإستقبـال في مدخـل الفندق أتلهى بمـراقبة الجـالسين ومشـاهدة الـرائحين

والغادين فنزلت ، وفوجئت بأن الصالون شبه خاوٍ ، فقد هرب رواده إلى دفء غرفهم . ورأيت أن أخرج لأتسكع في شوارع لندن ، لأجد مخرجاً من ضيقي في مقاومة البرد والثلج ، وهو علاج ناجح للقلق طالما جربته في أسفاري إلى أوروبا وأميركا

وكان عليَّ أن أمر في طريقي إلى الخروج بالبار . . وكان أيضاً شبه خاوٍ ، بالطبع لأن رواده فضلوا أن يشربوا في دفء غرفهم . . ولكن ، وفجأة رأيت أمامي على البار « شارلي شابلن » ملك السينما المتوج . . كان شارداً حزيناً يشرب بغير تذوق أو استطعام . . وقلت في نفسي : « الحمد لله . . وجدتُ صيداً أثمن صيد . . اللهم اجعله يا رب سبقاً صحفياً

واقتربت بحذرٍ من شارلي وألقيت عليه التحية ، واستأذنته في أن أجلس إلى كرسي البار العالي المجاور لكرسيه وأنا أقدم نفسي إليه فابتسم ابتسامة كان في أشد الحاجة إليها وقال لي :

- صحفي واضح تفضل .

وجلست إلى جانبه وسألني عن سبب وجودي في لندن فشرحت له ، وابتسم في مرارة وقال لي :

- في صباي ، صبا التشرد والجوع ، كنت أحلم بدخول هذا الفندق ، وتمنيت لو كنت صحفياً أو رجلاً ثرياً ليسمحوا لي بالدخول .

قلت :

- ها أنت اليوم تدخله كملك .

وتنهد وقال لي :

- صدقني كان تحقيق الأمنية وأنا متشرد يسعدني أكثر . ولو من الباب الخلفي علهم كانوا ينعمون عليَّ بكسرة خبز أسد بها رمقي .

وطلب من البارمان كأساً لي وقال لي :

ـ أنت الليلة ضيفي

وحاولت أن أعتذر فألح عليَّ

ـ الليلة عيد ميلادي

ـ وأين الأسرة . زوجتك وأولادك ؟

ـ في البيت .. في جينيف على ضفاف البحيرة .. ينتظرون عودتي وقد أعدوا للإحتفال بعيد ميلادي .. ولكنني لم أعد إليهم أجلت سفري إلى الغد .. وشئت أن أحتفل في لندن

ـ وحدك ؟

ـ لا فلندن مهد ذكرياتي

ـ أعرف .

ـ ولكنني لست وحدي الآن أنت معي

ـ أخشى أن أثقل عليك وأكون سحابة تحجب عنك الذكريات

ـ لن تكون سحابة فأنت من بلاد الشمس المشرقة . وقد أرسلك الله ، من يدري ، لتؤنس وحدتي وتنقذني من الغرق في قاع الذكريات ، لأن أكثر ذكرياتي في الماضي السحيق إن لم تكن كلها مؤسفة أليمة . وأنت وبصفتك صحفياً ملم طبعاً بقصة حياتي .

ـ نعم .. وأسفت وتألمت لك وأنا أقرأها

ـ سأروي لك حكاية وقعت في مطلع نجاحي في السينما حكاية لم أكتبها في مذكراتي ولم أحكيها لأحد قبلك ولم تُنشر بالمرة .. حكاية من حكاياتي المؤسفة المؤلمة ، ومن أشدها إثارة .

ـ يسعدني أن أكون أول من ينشرها ، هل تسمح ؟

ـ استمع أولاً ولك حرية النشر إن إردت وإن كانت أعصابك تقوى

على كتابتها ولكن لنستكمل أولاً معدات الإحتفال بعيد ميلادي بما يليق بضيفي الوحيد القادم من أرض الفراعنة

وانتقلنا إلى ركن منعزل تخفت فيه الإضاءة وتنبعث الموسيقى الناعمة الحالمة من مصدر غير مرئي ولم تلبث المائدة أن حفلت بأفخر وأشهى صنوف الطعام والشراب وانطلق ملك السينما يحكي لي حكايته المثيرة قال لي

« هذه الحكاية وقعت في مطلع نجاحي في السينما في هوليوود فتاة شابة ذات وجه جميل يخطف البصر ، وقوام جميل يثير الإعجاب كما لو كانت تمثالاً من المرمر أبدع المثّال في نحته إلى حد الإعجاز . . تسير فتخطر في خفة ورشاقة الغزال ، وتمر بك كما تمر الفراشة لا تحس بها وتبتهج بجمالها إذا ما نظرت إليها وتترك رؤيتها في صدرك إنشراحاً وسعادة

وطبعاً لفت جمالها نظري واسترعى انتباهي كأي إنسان يراها أمامه .

ولكن الذي لفت نظري إليها أكثر أنها كانت دائماً ترتدي ملابس تمتد من العنق إلى القدمين وذات أكمام طويلة ، وكانت تصر على تصويرها بهذه الملابس ، فإذا كان دورها يستدعي إرتداء ملابس أخرى فلتكن بنفس المواصفات ، وإلا انسحبت من التصوير . وكان جمالها يشفع لها في أن ننصاع لإرادتها ، وكنت أنا وباقي طاقم إخراج الفيلم لا نجد تفسيراً لهذا إلا أنها محافظة في مبالغةٍ وتشدد .

ولم ألبث أن خفق قلبي بحبها ، وأخذت أتودد إليها وأدعوها من وقتٍ لآخر للغداء أو للعشاء أو لنزهة خلوية ، وأحسست أنها تبادلني الحب . وتوثقت علاقتنا ، ولكنها كانت محافظة أيضاً في هذه العلاقة ولا تسمح لي بأكثر من قبلة خاطفة على خدها . . ولم أغضب لهذا السلوك الملتزمت معي بل أحببتها وقررت أن أتزوجها ، ولم يكن لها أهل في هوليوود فخطبتها من نفسها ، وكنت أتوقع أنها ستطير من الفرح وستحقق

حلماً كبيراً لم تحلمه وهو أن تتزوج من ممثل مثلي على أبواب الشهرة والثراء ، فإذا بها تصدمني صارخة في عصبية وإصرار :

- لا لا لا أستطيع الزواج منك مستحيل . . مستحيل .

- هدئي من عصبيتك أولاً ، ثم قولي لي لماذا ترفضين ؟

ولم تهدأ بل صرخت مرة أخرى :

- مستحيل . . مستحيل .

- على أي حال سأترك لك فرصة للتفكير قبل أن أسمع منكِ رأيكِ النهائي

- لن أغيره . . مستحيل .

- ولِمَ الإستحالة ؟

- أين أنا وأين أنت . أنا مجرد كومبارس تافهة . وأنت ممثل ناجح عظيم .

- سأجعل منكِ نجمة لامعة .

- لن تستطيع .

- أنتِ موهبة .

- ولكني راضية بأن أبقى كومبارس . . خلني في مكاني تحت . . ولا تهبط إليَّ من أعلى .

- ستصعدين إليَّ في مكاني .

- مستحيل . . خلنا صديقين .

- وزوجين أيضاً .

- مستحيل .

- لماذا ترفضين   إنني لا أجد سبباً

- بل هناك سبب .

- ما هو ؟

- لا أستطيع أن أطلعك عليه .

- بل افصحي عنه فربما اقتنعت به .

- أخشى أن تزداد تعلقاً بي لا حباً بل إشفاقاً عليَّ .

وعبثاً حاولت أن أهتدي إلى سبب رفض الفتاة الجميلة الزواج مني ، وأخذت أفترض بيني وبين نفسي الأسباب وأُصارحها بها وأعلنها بتمسكي بها أكثر رغم هذه الأسباب المفترضة من جانبي ، ومع ذلك بقيت مصرة على الرفض القاطع وبقي السبب غامضاً مجهولاً لديَّ .

إلى أن جاء يوم استدعيت فيه إلى المستشفى .. وكانت الفتاة هناك   في المشرحة .. صدمتها سيارة ونُقلت إلى المستشفى ، وما كادت تصل إليها حتى لفظت آخر أنفاسها

وفي المستشفى اكتشفت سر رفضها الزواج مني .. قال لي الطبيب الذي استقبلها عند وصولها المستشفى وحاول إنقاذ حياتها ولكن القدر لم يمهله   قال لي إن الفتاة مصابة بآثار حروق شديدة قديمة تشوه نصفها الأسفل بالكامل .

* * *

وانتهى « شارلي » من رواية حكايته المؤسفة ، ورأيت دموعاً حائرة في عينيه فسألته

- أتبكيها   هل أحببتها إلى هذا الحد ؟

- نعم   إنها واحدة من نساء قلائل أحببتهن في حياتي

ـ ولكنك أحببت كثيرات

ـ أقصد الحب الصادق النادر .

ـ وما مقياس هذا الحب عندك ؟

ـ أن تعطي المرأة أكثر مما تأخذ   وهذا يصدق إذا أحبت المرأة الشابة الجميلة شاباً جميلاً فتياً مثلها أما إذا أحبت رجلاً عجوزاً فإنها تأخذ أكثر مما تعطي

* * *

وحان منتصف الليل   وفاجأنا مدير الفندق قادماً ومعه رئيس الخدم يحمل تورتة « كعكة » عيد الميلاد ووضعها على المائدة أمامنا بينما كانت الموسيقى تنبعث من مصدرها الغير مرئي بأنشودة عيد الميلاد المشهورة بالإنكليزية « عيد ميلاد سعيد »

وأضاء مدير الفندق شموع التورتة وأخذنا نردد الأنشودة مع الموسيقى ، ثم طلبت من شارلي أن يطفىء الشموع ولكنه رفض وقال :

ـ لا أحب أن أطفىء شموع ما انقضى من عمري   فهذه ليست مهمتي بل مهمة عزرائيل

* * *

وانتهى العشاء وبقيت الشموع مضاءة ، وأمسك شارلي بذراعي وقال لي

ـ قم بنا نتسكع في شوارع لندن كما كنت أتسكع في طفولتي وصباي   لقد بدأت حياتي متشرداً ويحلو لي من حينٍ لآخر أن أعود إلى التشرد ، فقد كانت أياماً حلوة رغم مرارتها   كنت أخوض شوارع لندن صعلوكاً ، واليوم أخوضها مليونيراً ، فما الفارق ؟!

في ضيافة ملك وملكة هوليوود

في منتصف الخمسينــات كنت في هــوليــوود ، في رحلتي الثــانيــة للولايـات المتحـدة الأمـيركيـة ، ونـزلت ضيفـاً عـلى « سبـيرو سكـوارس » المليارديرِ صاحب شركة فوكس موفيتون للإنتاج السينمائي العالمية الشهـرة ، وأحد كبار المساهمين في شركـة الطيران الأمـيركية الكبـيرة « الخطوط الجـوية عبر العالم T.W.A وكانت تُرافق سكوراس نجمة السينما الكبيرة « روزالندا راسيل » وكانت تحمل لقب ملكة الإغراء في دنيا السينما

كـان « سكوراس » وقتئـذٍ واحد من أصحـاب الملايـين المعـدودين ، وكان يحمل لقب « ملك الإنتاج السينمائي » وكان مغرمـاً مفتونـاً بروزالنـدا راسيل .

وكانت « روزالندا راسيل » واحدة من ألمـع نجوم السينـما في العالم ، وتمتاز بأجمل صدر بين النجوم قريناتها لدرجة أنها كانت تؤمن عليـه بخمسة مـلايين من الـدولارات وكـانت تبـادل سكـوراس الحب . وأطلقت عليهـا « هيـدا هوبـرا » الناقـدة الأميركيـة المعروفـة بطول اللسـان لقب « جـاريـة السلطان » ولم تنـزعج روزالنـدا ولم يعبأ سكـوراس ، بل مضيـا في حلمهما الجميل وحبهما الأسطوري يشربان كأسه حتى الثمالة .

سألت سكوراس

ـ لِمَ روزالندا وفي إمكانك أن تنعم بحب إمرأة ثرية مثلك ؟

فأجابني وعلى شفتيه ابتسامة الرضا

ـ روزالندا ثرية مثلي وإن لم تكن أكثر ثراء .

ـ كيف ؟

ـ الرجل ثروته المال ، أما المرأة فثروتها جمالها وجمال روزالندا يعادل المليارات !!

وسألت روزالندا :

ـ لماذا سكوراس . . هل أحببتِه لثرائه ؟

ـ أبداً أحببته لأنه إصطفاني لحبه دون نساء العالم كله

وضحكت وهي تقول

ـ كان في إمكانه أن يجمع حوله حريم السلطان كله لا جارية واحدة كما تقول « هيدا هوبرا » !

المطرب محمد عبد الوهاب يصف جلسة للجمعية العامة للأمم المتحدة !!

كـان إنعقـاد دورة الجمعيـة العـامـة في سنـة ١٩٥١ في قصر شـايـو بباريس وانتهزت فـرصة وجـود الموسيقـار محمد عبـد الوهـاب في باريس ودعوته ليشهد جلسة من جلسات الجمعية العامة وكان جوابه على هذه الدعوة :

ـ لا يا محمد . . لحسن آخذ زكام .

والـزكام عـدو عبـد الـوهـاب اللدود الـذي يجـاوره ويـداوره طـول الشتاء ، والذي بسببه هرب بعد ذلك من باريس متوهمـاً أنه لـو بقي فيها ولو ساعة واحدة بعد إصابته بالـزكام الـذي أصابـه فجأة لأصبح في عداد المغفور لهم الصالحين على حد تعبيره .

وقلت له :

ـ ما تخافش . . قصر شايو فيه تكييف هواء .

ـ تكييف الهواء يعمل إيه مع برود أعضاء الوفود !!

ـ وليه تحكم عليهم بالبرود ؟

ـ هو اللي بيقعد يرغي زيهم ثلاث شهور كل سنة في كـلام فارغ مـا

يبقاش بارد . ده الحلاق عندنا بيضربوا به المثل في البرود لأنه بـيرغي طول ما بيحلق لك . . وعمر الحلاقة ما تزيد عن نصف ساعة بالكثير .

وبعـد إلحاح استجـاب عبد الـوهاب لـدعوتي ، واغـراه بالقبـول أن أخبرته بأن الجلسة التي أدعوه إليها سيلقي فيها الدكتور محمد صلاح الدين وزير خارجيتنا خطاباً ، وكان معروفاً بتقديره للفن والفنانين . وقال لي عبد الوهاب :

ـ طيب حَ أروح علشان خاطر الدكتور صلاح الـدين هو بيحب يسمع صوتي وأنا كما بـأحب أسمع صـوته كـل واحد منـا معجب بفن الآخـر ، لأنه هـو راخر فنـان فنـان في السيـاسـة زي مـا أنـا فنـان في الغناء

ووضع عبد الوهاب نفسه في معطفه الثقيل وقال لي :

ـ أهو دلوقت حطيت نفسي وراء خط ماجينو ضد البرد .

وخط ماجينو هو الحصن الحصين الذي بنته فرنسا عـلى حدودهـا مع ألمانيا إتقاء هجماتها قبل الحرب العالمية الثانية

قالها عبد الوهاب وقد نسي أن الألمـان اقتحموا خط مـاجينو ونفـذوا منه إلى فرنسا رغم تحصينه الحصين ومدافعه الجبارة .

ونزلنا إلى باب فندق جراند أوتيل الذي اعتاد عبد الـوهاب أن يقيم فيه وقبل أن ندلف إلى الخارج رأيته يخرج من جيبه منديلاً ويسد به أنفه وفمه ثم قال لي :

ـ وآدي كمان كمامة الزكام .

وهكذا ذهب معي عبد الوهاب إلى قصر شـايو مسلحـاً محصناً ضـد الزكام والبرد .

* * *



مع عبد الوهاب في مطعم جامع باريس .

ووصلنا إلى قصر شايو . ونظر عبد الوهاب إلى القصر ، ثم إلتفت إلى برج إيفل المواجه له ثم قال :

ـ ليه ما يجتمعوش فوق برج إيفل . . في الهواء الطلق . . كنا على الأقل نضمن لما يتخانقوا مع بعض يقعوا من فوق البرج وتنكسر رقبتهم .

ولما رأى أعلام دول الأمم المتحدة تستقبلنا في حديقة القصر قال :

ـ ايه الرايات دي كلها   هي أمم متحدة ولا مولد !

وأوقفنا سيارتنا وسط سيارات أعضاء الوفود . وتقدم أحد عساكر المرور الفرنسيين الواقفين هناك فحيانا وفتح لنا باب السيارة فدُهش عبد الوهاب وقال لي :

ـ شايف عساكر المرور بيعملوا إيه هنا . . عندنا ما يقربوش لم عربيتك إلا علشان يعملوا لك مخالفة .

وعلى باب القصر شاهد عبد الوهاب شباك التذاكر ، تذاكر ما يقام في القصر أحياناً من حفلات عالمية . . وقد غنى في هذا القصر من كبار الفنانين العرب أم كلثوم وفيروز وفريد الأطرش . . وكان الشباك مقفلاً

وليس أمامه أحد ، فقال لي عبد الوهاب :

ـ شايف ما فيش حد على شباك التذاكر . . دي لازم الرواية النهاردة وحشة . . موش حرام عليك تجيبني في البرد ده ؟

قلت :

ـ أبداً الرواية عظيمة جداً . . النهاردة قضية الجزائر . . ومفيش حد قدام شباك التذاكر لأن الحفلة « كومبليه . . كاملة العدد » .

وسألنا ضابط الأمن المعين على الباب عن التذاكر فأبرزت له بطاقتي الصحفية كصحفي معتمد في الأمم المتحدة وتذكرة الدعوة التي جئت بها لعبد الوهاب ودخلنا وقال لي عبد الوهاب :

ـ هنا كل واحد بيدخل بتذكرة . . يعني جواز المرور بتاع ضابط البوليس عندنا كلمة بوليس ما تنفعش هنا

ونظر إلى منصة عالية تتوسط الردهة ويجلس عليها رجل أنيق يتحدث في ميكروفون صغير في يده . وإلى جانبه جلست فتاتان حسناوتان وسألني :

ـ ايه ده ؟

ـ ده منادي السيارات . . بينادي في الميكروفون على سيارات أعضاء الجمعية العامة علشان تستناهم على الباب لما يخرجوا .

ـ طيب والبنتين اللي معاه ؟

ـ دول سكرتاريته . . قدامهم دليل بنمر سيارات الأعضاء علشان يستعين به لو نسي واحد من الأعضاء نمرة سيارته .

ونظر عبد الوهاب حواليه مكاتب البريد والتلغراف ومحلات بيع الجرائد والسجائر والحلوى والهدايا المقامة في ردهات القصر وقال لي ضاحكاً :

ـ موش قلت لك مولد !

وأعطينا معطفينا وقبعتينا لعاملة المعاطف التي سألتنا بالفرنسية

ـ وفد ايه ؟

فأجاب عبد الوهاب بالعربية

ـ وفد الفن

وأجابت الفتاة دون أن تفهم بالطبع

ـ وي مسيو .

ودعوته لتناول فنجان من الشاي في الكافيتيريا فقال لي :

ـ هو فيه كمان كافيتيريا ده « لونابارك » بقى مش مولد بس !

وفي الكافيتيريا رأى إقبال الأعضاء على الطعام والشراب قبل دخولهم الجلسة فقال بدهشة

ـ ما لهم بيأكلوا بفجعنة كده زي اللي بيأكلوا في آخر زادهم .

وجلسنا نشرب الشاي وعينا عبد الوهاب لا تنقطعان عن الدوران فيما حولنا وقال :

ـ لو كانوا بيشتغلوا في الجلسة بنفس الشهية ما كنش العالم يغرق معهم في الخلافات والحرب الباردة الخانقة .

ودعوته بعد الشاي لزيارة جناح الصحفيين وأحاطوا به كلهم من مختلف دول العالم وشعوبه وطلبوا منه أن يغني مطلع إحدى أغانيه فاعتذر قائلاً :

ـ بعدين أبوظ على أتشيسون وفيشنسكي خليهم ياكلوا عيش

ومررنا بأقسام السينما والتليفزيون والإذاعة في بدروم القصر التي تصور وتسجل كل ما يدور في إجتماعات الجمعية العامة ، وأخذ عبد

الوهاب بمشاهدتها وهتف :

ـ إيه ده كله ؟! ده إحنا ما عندناش واحد على ألف منها !

ووقف طويلاً في قسم تسجيل الإسطوانات وقال لي

ـ لو يشاركوني على القسم ده بدل بيضافون موش يكـون أكسب لهم وأربح !

« وبيضـافون » هـو صاحب شركـة الاسطوانـات التي كانت تسجـل أغاني عبد الوهاب .

رُنّق الجرس يدعو لدخول الجلسة فقال عبد الوهاب

ـ ده تياترو بصحيح !

ومررنا بقاعة إستراحة الأعضاء ، وكان فيها « الأمير مساعد بن عبـد العزيز آل سعود » أحد أنجال الملك عبد العـزيز آل سعـود . . جاء أيضـاً ليشهد الجلسة . ورحب بعبد الوهـاب الذي يعـرفه من سنـوات ، وطلب مني أن آخذ لهما صـورة وأجلس الأمير عبـد الوهـاب إلى جانبـه وأمسك بيده في يده في صورة الإتحاد والتضامن وقال لي

ـ إيه رأيك يا أستاذ في صورة الوحدة العربية دي

وقال عبد الوهاب ضاحكاً

ـ الحقيقة يا سمو الأمير الصورة دي نشاز هنا ما حدش في الأمم المتحدة بيحط إيده في إيد الثاني أبداً

ودخلنـا قاعـة الجمعية العـامة ، وجلسنـا في مقاعـدنا وقـال عبـد الوهاب وهو يدور ببصره حواليه

ـ ـ مسرح بـالضبط . . خشبة المسرح قـدامنا والستـائر والأنـوار الكاشفة مسلطة عليها والصالة ملآنة بأعضاء الوفود .

وخطب أحمد الشقيري عضو الوفد السوري وألهب الأكف بالتصفيق .. ثم خطب ظفر الله خان رئيس وفد الباكستان وأبدع وأقنع .. ثم خطب الدكتور محمد صلاح الدين رئيس الوفد المصري وتهدج صوته بالعروبة الخالصة الدافقة والحماس لقضية الجزائر ، وملك أعنة الموقف .. ودوت أركان القاعة الكبيرة بالتصفيق له .. ومال عبد الوهاب على إذني بقوله :

- ده إحنا راح نكسب قضية الجزائر مائة في المائة

وسكت ولم أجب .. لم أجب إلا بعد أن أخذت الأصوات ، واختفت الأكف التي كانت تصفق للقضية ... فخسرنا .. وعاد عبد الوهاب يسألني :

- إزاي الكلام ده .. آمال إيه دول اللي قاعدين وما أعطوش أصواتهم ؟!

- دول كومبارس .

- ده قتل .. قتل للشعوب بحالها .. إحنا بنزعل عندنا من يوسف وهبي لما يقتل واحد وألا إثنين في مسرحياته مع إنه بيقتل في التمثيل .. ودول هنا بيقتلوا شعوب بالملايين !

وقمنا لننصرف . وقال لي عبد الوهاب عند الباب وهو يضع نفسه مرة أخرى في معطفه « الماجينو » ويغطي أنفه بمنديله :

- أنت فرجتيني النهاردة على مسرحية كبيرة صحيح ... إنما للأسف دي أبوخ مسرحية شفتها في حياتي !!!

الفهرس

طُبِعَ عَلَى مَطَابِع

مؤسسة عز الدين

للطباعة والنشر

هاتف: ٨٣١٦٤٠ - ٨٠٠٦٢١ - ٢٧٣٦٣٦ - ٢٧٥٨٦٧

ص.ب: ١٥٠٥/١٣ بيروت - لبنان